

تاريخ مصر العربية الإسلامية

اعداد :-

أ.د/ممدوح عبد الرحمن عبد الرحيم

الفصل الاول

أولا : أحوال مصر قبيل الفتح العربي الإسلامي:

كانت مصر تمثل إحدى الولايات التابعة للإمبراطورية البيزنطية ، وذلك خلال القرن السابع الميلادي، وأن المتأمل تاريخ مصر الطويل قيل هذه الفترة يجد مصر تقع فريسة لدولة البطالمة ، ثم الدولة الرومانية من بعدها إلى أن آلت إلى الإمبراطورية البيزنطية ، وان المتأمل لتاريخ مصر خلال تاريخها العريق قبيل قدوم العرب إليها ليجدها تموج بتيارات استعمارية المقصود منها استنزاف خيرات مصر وذل أبنائها ، وتدهور أحوالها على كافة أنشطة الحياة العامة

ونستعرض الأحوال الدينية فيها ، فقد عرفت مصر المسيحية منذ القرن الأول الميلادي، وانتشرت المسيحية بكل أرجاء : مصر خلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين، الأمر الذي جعل أباطرة الروم الوثنيين يضطهدون الشعب المصري وذلك ابتداء من عهد الإمبراطور سفيريوسن. (١٩٣-٢١١ م) الذي قام بحملات اضطهاد واسعة ضد المسيحيين والمسيحية في كل أرجاء الإمبراطورية والزم المصريين إلى تقديم القرابين إلى الآلهة وذلك للتأكد من رجوعهم عن اعتناق الديانة المسيحية .

واستمرت هذه الأوضاع من اضطهاد للمصريين حتى ولى الإمبراطورية الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-)

٣٠٥ م) الذي ضرب ابشع الأمثلة في اضطهاد المسيحيين عامة ، والمصريين خاصة ، . الأمر الذي

جعل للكنيسة المصرية تبدأ تقويمها المعروف بالتقويم القبطي أو تقويم الشهداء بالسنة الأونى من حكم

الإمبراطور دقلديانوس سنة ٢٨٤م.

واعترف الإمبراطور قسطنطين الأول (٣٢٣ - ٣٣٧ م) بان المسيحية إحدى الديانات التابعة

للإمبراطورية البيزنطية بعد أن اظهر احترامه لهذه الديانة الجديدة ، ثم إعترف بها الامبراطور ثبروثيوس

العظيم دينا رسميا للإمبراطورية سنة ٣٩٢م ،أعلن هذا الإمبراطور تحريم عبادة الأوثان داخل الإمبراطورية،

وتنفس المسيحيون الصعداء ، ولكن ثار الجدل والنزاع حول طبيعة المسيح واتخذ أغلب الأباطرة

سياسة.منافية لسياسة المصريين حول المسيح وطبيعته ولذلك اشتد النزاع مرة أخرى بين الأباطرة

والمصريين.

وتمسكت كنيسة الإسكندرية منذ منتصف القرن الخامس الميلادي وكان مبدأها بأن المسيح طبيعة

واحدة ، إما كنيسة القسطنطينية فقد كان مبدأها بأن للمسيح طبيعتين ، ومن جراء ذلك جاء مؤتمر

خلقدونية بأسيا الصغرى (٤٥١م) وأيد مبدأ الطبيعتين وقرر أن مذهب الطبيعة الواحدة. ضربا من ضروب

الكفر والإلحاد.

عارض الشعب المصري قرارات مؤتمر خلقونية ، وأطلقوا على أنفسهم "الأرثوذكسيين" بمعنى أنهم أتباع الديانة الحقّة ؛ أما اتباع الكنيسة البيزنطية فاتخذوا لقب الملكانيين وذلك لموافقته مذهب الإمبراطور القائل بالطبيعتين للمسيح.

وتعرض المصريون للاضطهاد الديني مرة أخرى من قبل الأباطرة البيزنطيين وذلك لمعارضتهم المذهب الإمبراطوري ، وقاوم المصريون هذا الاضطهاد بالهروب إلى المعابد والأديرة بالجمال والصحراء وتركوا حقولهم ومنازلهم وقراهم، ثم حل هرقل إمبراطور للإمبراطورية البيزنطية سنة ٦١٠ م ، ووضع المصريون آمالهم على الإمبراطور هرقل لتخليصهم من هذا الاضطهاد ؛ إلا أن الفرس استولوا على مصر سنة ٦١٦ م وتركوا المصريين في حرية دينية عظيمة طوال فترة حكمهم لمصر ؛ إلا أن هرقل تمكن من طردهم من مصر سنة ٦٢٩ م .

واستعمل هرقل الاضطهاد الديني على عاتق المصريين الذين لم يوافقوا على تعليمات هرقل بشأن طبيعة المسيح؛ و استعمل قيرس (المقوقس) اشد أنواع التعذيب والتكيل ضد المصريين ولمدة عشر سنوات متتالية ذاق المصريون البشع أنواع التعذيب و الاضطهاد و هرب البطريرك بنيامين إلى الصحراء و معه المصريون وانتشرت الفتن والفوضى في ربوع مصر .

جاهد الحاكم البيزنطي قيرس لجمع المصريين بكل أنواع التهديد والتنكيل تارة والتودد للمصريين تارة أخرى ، وذلك لضم المصريين إلى دولة البطالمة ولكن جهوده باءت بالفشل ، وتمسك المصريون بمذهبهم الديني وأعلنوا العصيان على هرقل والمقوقس ، وظهرت مصر بقوميتها ودينها الخاص بها وشخصيتها الفريدة خلال الاضطهاد الديني ، والذي فشل في إخضاع المصريين المذهب الإمبراطور ؛ وقد أزال المقوقس كل الصلات بين المصريين والبيزنطيين ، وتطلع المصريين لخلاص من الحكومة البيزنطية ؛ الأمر الذي مهد السبيل للفتح الإسلامي .

أما عن الأحوال الاجتماعية فكانت من أهم العوامل التي أسرعت بالقضاء على الحكم البيزنطي، فقد كان الشعب المصري يمر بأحوال اجتماعية في غاية القسوة والظلم ؛ فتجد الاسكندرية كانت مدينة يونانية غريبة عن الشعب المصري، واختلفت تماما عن طباع المصريين ، كما اشتهرت بالبذخ والثراء والترف، وكانت علي العكس تماما عن بقية بلدان مصر، وقرائها التي كانت تحت وطأة أسر قوية وبقية الزراع من الشعب المصري بمثابة رقيق أو اقنان ، وأصبح المصريون غرباء في. أرضهم يقدمون خيراتها لمستعمرهم تحت وطأة الظلم والقمع والطغيان .

كما أظهر البيزنطيون ورجال جيشهم تصلفا عظيما في جمع الأموال من الشعب المصري بحجة الضرائب وجمعها بالقوة والسوط، كما سيطر التجار الروم واليهود على التجارة المصرية مستغلين سطوة

هؤلاء الجنود البيزنطيين وقضوا على منافسة التجار المصريين لهم بالفزع والجبروت، وبذلك كسدت التجارة المصرية وتوقفت الأرض عن العطاء،. وانتشر المرض والوباء بالديار المصرية، وعلى الرغم من ذلك ظهرت الروح المصرية القوية وازدهرت اللغة القبطية وزاحمت اللغة اليونانية، وتمسك المصريون بها على الرغم من الشدة والاضطهاد .

ومن جهة الأوضاع الاقتصادية فكانت على درجة كبيرة من الفساد والتدهور ، فقد وضع الرومان والبيزنطيون مصر كسلة تمدهم بالخبز والقوت ، وحرص البيزنطيون على المحافظة على هذه الهبة وكانت علاقتهم بمصر علاقة. استعمارية بحتة ، فقد استعملوا كافة الوسائل لتعويض مصالح المصريين ، بل سيروها لصالحهم فقط، واستعملوا كل الوسائل للسيطرة على موارد مصر ، واستعملوا ابشع أنواع التنكيل بالفلاحين المضربين لتحصيل الضرائب، وذهب الفلاح المصري لوضع نفسه تحت حماية أمير من الأمراء البيزنطيين أملا للنجاة ولكن بدون جدوى .

إذ بمرور الزمن أصبحت الأرض ملكا للأمير وصار المصري رقيقا أو قنا، وأصبحت ارض مصر خلال القرن السابع الميلادي اشبه بنظام الإقطاع ، وقد قسم البيزنطيون مصر الى خمسة أقسام إدارية كبرى لسرعة وإحكام السيطرة عليها وهي : الإسكندرية وشرق الدلتا وغرب الدلتا ومصر الوسطى ومصر العليا. وكان يحكم كل إقليم حاكم يعرف بالدوق يجمع بين يديه الحكم العسكري والمدني وتحت نفوذه

القضاء والشرطة والإدارة أيضا؛ وهذا النظام أدى إلى إحكام السيطرة على المصريين و مواردهم ، مما أدى إلى هروب الشعب المصري وتشتته من ظلم وجور البيزنطيين ؛ وكان ينظر الخلاص من الله على يد قوة أخرى أقوى من البيزنطيين ، فكان ينظر إلى الفرس ؛ ولكن الله أراد في خلاصة على يد قوة العرب المسلمين .

ولا شك أن الناحية العسكرية أو الحربية لمصر في هذه الأونة كانت موزعة على كل إقليم ، فكان لكل دوق أو حاكم فرقة عسكرية الخاصة به ، ويدافع عن منطقتة أو اقليمية فقط ، ودخل هذا الجيش كثير من المصريين المجندين في كل إقليم ، وذلك بعد أن سمحت السلطات البيزنطية للمصريين بالانخراط في سلك الجندية كل حسب اقليمية ، وكانوا يجندون بالاقتراع أو التطوع أو الوراثة ، وكان جيشا مهمل التدريب لان أفراد الجيش كان يسمح لهم بالاشتغال في الحرف والأعمال اليومية بجانب الجندية ؛ ولذلك ضاعت الناحية الحربية بسبب كثرة الفرق العسكرية وعدم ولائها للروم ، وعدم ارتباطه بقائد معين ، ولذلك سهل الأمر على العرب عندما فتحوا مصر سنة ٢١ هـ / ٦٤٢ م .

ثانيا : أحداث الفتح الإسلامي العربي لمصر:

ظهرت الدعوة الإسلامية على يد محمد صلى الله عليه وسلم و قام بالهجرة من مكة إلى المدينة ، واستطاع أن يوطد اركان هذه الدعوة بالمدينة المنورة في خلال الخمسة أعوام الأولى من هجرته وأن

يجمع المسلمين تحت لواء الإسلام ؛ واستطاع أن يعقد صلحا مع قريش في مكة يسمى بصلح الحديبية في السنة السادسة من الهجرة ؛ وقد أفسح هذا الصلح المجال للنبي عليه السلام أن يبعث بسفاراته إلي رؤساء وأمراء وملوك العالم يدعوهم إلى الإسلام ، فبعث الصحابي حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس صاحب مصر ؛ وشجاع بن وهب الأسدي إلى كسري وبعث بدحية بن خليفة إلى قيصر ؛ وعمرو بن العاصي إلناميري عمان .

وقد غادرت سفارة حاطب بن أبي بلعته المدينة في ذي الحجة سنة ٦ هـ ، ووصلت مصر سنة ٦٢٩/٥٧ م ، وهنا احسن المقوقس مقابلة هذه السفارة مثلما أحسن هرقل لقاء دجية بن خليفة ؛ ورد المقوقس هذه السفارة إلى النبي عليه السلام بأحسن رد وأهداء بهدايا منها بعض العسل (من إنتاج بنها) ، وثياب القباطي ؛ كما أرسل إحدى النساء ماريا القبطية فدية إلى النبي عليه الصلاة والسلام ؛ وتركت هذه السفارة رابطة قوية بين مصر والعرب.

ومهدت للفتح العربي الإسلامي لمصر وتناقل الرواة الأحاديث النبوية التي أشار فيها الرسول عليه السلام إلى أن الله عز وجل سوف يمكن المسلمين من فتح مصر ، وبعض الأحاديث بوصيته عليه السلام بأهل مصر خيرا، وأن لأهلها ذمة ورحمة ؛ حيث أن أم إسماعيل بن إبراهيم هاجر من مصر ، مارية زوج النبي من مصر أيضا ؛ ومن أهم أحاديث الرسول عليه السلام بالوصية على أهل مصر " إذ فتح الله

عليكم فاتخذوا منها جندا كثيفا " فذلك الجند خير اجناد الأرض . فقال له أبو بكر : ولم يا رسول الله با ؟

قال لأنهم وزوجهم في رباط إلى يوم القيامة "؛ وهناك أحاديث كثيرة في ذلك الشأن .

أضف إلى ذلك معرفة كثير من الصحابة بأمر مصر ، لخروجهم إليها بقصد التجارة ومنهم عمرو

بن العاص ، الذي كان يأتي إلى مصر للتجارة، وكان أيضا يقابل تجار مصر في بلاد " الشام أثناء رحلة

الصيف في فلسطين ؛ وروي بن عبد الحكم رواية تعلق بعمر بن العاص قبل ظهور الإسلام ؛ إذ انه

كان بببيت المقدس وأنه تصادق مع أحد رجال الدين المصريين بعدما قدم له عمرو بن العاص بعض

الخدمات الجليلة ؛ فدعاه المصري لزيارة مصر ليرد له بعض من جمائله ، ووصف له خيراته مصر

ورائها وروعة أهلها.

وتشوق عمرو لرؤية مصر فذهب مع الرجل إلى مصر، وقام الرجل باطلاع عمرو على معالم.

مصر وقوتها ؛ ثم دعاه إلى الإسكندرية و هي عاصمة مصر آنذاك وذلك لحضور حفلا سنويا يقام

يجتيز يوم المدينة ، فكان يقوم أبناء علية القوم في آخر الحقل بإلقاء كرة ذهبية إلى المشاهدين أو الجماهير ،

ومن تقع في حجرة الكرة، فكان يستبشر بأنه سيكون حاكم مصر في المستقبل ؛ وفي نهاية الحفل، وقذف

أحد الشباب الكرة. فإذا هي تقع في حجر عمرو بن العاص ، وكان جالسا بين المشاهدين بجوار صديقه

المصري، فرأى ذلك عجب ودهشة المصريين، وقالوا : ما كذبتنا الكرة ابدا ، واستبعد الجميع هذا العربي ان يحكم مصر .

ونترك جانب الروايات والتوقعات وننصل الأحداث الفتح العربي لمصر الحقيقية ؛ فعندما توفي النبي عليه السلام، وتولى الخلافة أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، قام بفتح بلاد الشام و أرسل أربعة جيوش لهذا الغرض، وكان من أهم قادة الجيوش القائد عمرو بن العاص الذي التقى بالقائد البيزنطي الأربطون : " استطاع القادة العرب أن يحققوا نصرا مجيدا على الروم في أجنادين ؛ وفر : الأربطون إلى مصر ليعيد أوراغ قواته استعدادا لمجابهة المسلمين .

وقام (صفرونيوس) بطريق . بيت المقدس وتسليم المدينة إلي . الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه والذي أمنه على ماله وروحه وعامة المسيحيين ؛ وهنا اجتمع عمرو بن العاص مع الخليفة عمر الخطاب بمنطقة الجابية بالقرب من دمشق وتقع على مرتفعات الجولان الآن ، وذلك قبل ذهاب عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس واستلام المدينة من البطريق صفرينوس؛ وقام عمرو بن العاص بتوضيح ضرورة فتح مصر وخاصة أن اربطون الروم .قد ذهب إلى مصر ويدبر المتاعب الحربية العرب؛ بالإضافة إلى خطورة تجمع الروم بمصر وأهميتها الحيوية بالنسبة للروم ،فكانت المخزن الروماني الذي يمدهم بلغال ؛ وأن استلاه المسلمين على مصر سوف يضرب اهم عون للبيزنطيين في منطقة الشرق عامة .

أعلن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه موافقته على فتح مصر أمر عمرو بن العاص بأربعة آلاف جندي عربي وقال له : أني مرسل لك كتابا فان ادراكك وأمرتك فية بالانصراف فيه و عن مصر قبل أن تدخلها أو شيئا من أرضها فانصرف وان دخلتها قبل أن يأتيك كتابي فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره ، وسار عمرو بن العاص إلى مصر سنة ١٨ هـ / ٦٣٩ م ووصل العريش ومنها إلى الفرما: (شرقي بور سعيد الحالية) ؛ ويقال أن كتاب عمر بن الخطاب وصل عمرو بن العاص وهو برفح يتسلمه من الرسول حتى قرب العريش فأخذ الكتاب وقرأه على جيشه وأمرهم بمواصلة فتح مصر

لقي عمرو بن العاص مقاومة في مدينة الفرما من الجنود و البيزنطيين استوقفته شهرا ولكنه هزمهم في سنة ١٩ هـ / ٦٤٠ م ثم زحف نحو بلبيس ففتحها، بعد شهرين من المقاومة أيضا ؛ وذكر المؤرخون أن ابنة المقوقس حاكم مصر البيزنطي كانت موجودة في مدينة بلبيس وقبض عليها عمرو بن العاص ولكنه أعادها إلى أبيها بعد أن أكرمها الأمر الذي أدى إلى إعجاب القبطي بعمرو بن العاص ثم تقدم عمرو بن العاص أم دنين (تقع شمال حصن بابلون) ، حيث نشب قتال شديد بين العرب والروم، وأرغمهم عمرو على التحصن بحصن بابلون .

وكانت نابليون من أعظم مراكز مصر وذلك لموقعها على رأس الدلتا وكونها على الطريق الموصل إلى مدينة الإسكندرية عاصمة مصر في ذلك الوقت ؛ ولذلك طلب عمرو بن العاصن من الخليفة

عمر بن الخطاب العون العسكري، فأرسل له أربعة آلاف .. جندي يقودهم أربعة هم : الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت : ومسلمة بن مخلد والمقداد بن الأسود، ويقال أن العون بلغ اثنا عشر ألف رجلا ، واستطاع العرب بعد معارك شديدة وحروب متكررة ، وحاصر العرب بضعة شهور وحدثت مفاوضات بين الفريقين ؛ و أصرالعرب على دخول الروم في الإسلام أو دفع الجزية أو القتال ؛ رفض الروم ذلك واستؤنف القتال واستبسل الزبير بن العوام في فتح حصن بابلين بشجاعة فائقة ؛ حتى وافق الروم على الصلح ودفع الجزية ، وتم عقد معاهدة بين الروم والعرب اجازها الخليفة عمر بن الخطاب وأهم شروط هذا الصلح هي :-

١. أن يدفع كل قبطي للعري دينارين ويعفي منها النساء والأطفال والشيخوخ
 ٢. للعرب المسلمين حق الضيافة على المصريين لمدة ثلاثة أيام عندما ينزل المسلمون عليهم
 ٣. تبقى للروم أرضهم وأموالهم وتعهد المسلمون بالمحافظة عليها
- وعندما أبلغ المقوقس حاكم مصر شروط هذا الصلح إلى الإمبراطور البيزنطي رفضها زفضا تاما واعتبرها مهانة في حق الإمبراطورية البيزنطية التي لم تعهد مثل هذا الصلح مع الشعوب التي حربتها ، بل وبخ المقوقس على قبوله الصلح ؛ وأمره بقتل العرب فورا؛ ولكن المقوقس راي المسلمين قد استولوا على الحصن، وقام القائد العربي عمرو بن العاص بالمسير نحو عاصمة مصر الإسكندرية قاصدا

الاستيلاء عليها ؛ وانه استولى على منطقة عين شمس. واشرف على المنطقة الشرقية من مصر السفلي، واستطاع أن يشرف على السفن والبضائع التي تنتقل بالنيل إليها، وقام عمرو بفتح بلاد الطرافة ونقيوس وكوم شريك و سفطيس والكربون، وفرت الحامية الرومانية من هذه البلدان إلى الإسكندرية بعدما تركوها للعرب .

وصل العرب أسوار مدينة الإسكندرية بعدما فتحوا منطقة غرب الدلتا و استولوا عليها ؛ كان المقوقس داخل المدينة ومعه كبار القادة الروم ؛ واحكم عمرو بن العاص الحصار على الإسكندرية وكان البيزنطيون يعلمون مدى أهمية هذه المدينة التجارية والحربية والبحرية حتى قيل أن هرقل إمبراطور الروم أراد الخروج بنفسه الحرب المسلمين بالإسكندرية ولكنة مات في ١١ فبراير سنة ٦٤١م الموافق ٢٠هـ .

استبسل الروم في الدفاع عن المدينة الأمر الذي جعل المسلمين يحاصرونها أربعة عشر شهرا مما أقلق الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه على الجيش العربي ، ولكن موت هرقل وتولى العرش الإمبراطورة مارتينا زوجته وصية على ابنة الطفل هرقل التيوس ، وانقسام القادة بالمدينة على أنفسهم ؛ وفضل الكثير منهم الصلح مع المسلمين وعلى رأسهم المقوقس الذي له دراية بقوة المسلمين وشدة بأسهم ؛ ولذلك. وافقت الإمبراطورة مارتينا على الصلح مع العرب ، حتى تتفرغ لإخماد الفتن الداخلية والنزاع على عرش الإمبراطورية بالقسطنطينية.

طلب قيرس الصلح من عمرو بن العاص بعد أن ذهب إلى بابليون ، ولتك عرفت هذه المعاهدة

بمعاهدة بابليون الثانية تميزا لها عن المعاهدة. الأولى التي لم تتم ! وأيضا أطلق على هذه المعاهدة الثانية

معاهدة الإسكندرية لأنها كانت تخص قادة وشعب الإسكندرية ؛ وعقدت هذه المعاهدة في نوفمبر سنة

٢٠هـ ٦٤١ م؛ وأهم بنودها هذه الاتفاقية ما يلي :-

١. أن يدفع كل قبلي جزية قدرها دينارين مع إعفاء غير القادرين على الكسب من الشيوخ والنساء والأطفال

٢. مدة الهدنة إحدى عشر شهرا

٣. أن يكف العرب والروم عن القتال

٤. ان يحترم العرب الكنائس والطقوس المسيحية

٥. ان يبقى اليهود في الإسكندرية .

٦. ألا يحاول الروم استرداد مصر او الهجوم عليها .

٧. ان يحتفظ المسلمون رهائن من الروم عند ١٥٠ جنديا و و مدنيا.

٨. أن يرحل الروم من مصر بأموالهم وممتلكاتهم

ومن ذلك الوقت أصبحت مصر ولاية إسلامية عربية تابعة . للدولة العربية بالمدينة المنورة وأنسلخت

عن الدولة البيزنطية والقسطنطينية ؛ واصبح عمرو بن العاص اول والي عربي مسلم عليها من قبل الخليفة

عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ ورحب الأقباط المصريون بالحكم العربي الجديد ، لمصر بعد كرهوا الرومان الذين استغلوا مصر أسوأ استغلال وتعالوا على المصريين ووقف اليهود على الحياد بين العرب، والروم، ولذلك .تركهم عمرو بن العاص، يقيمون بالإسكندرية في سلام وأمان .

واحسن المسلمون معاملة الأقباط كما أحسنوا معاملة المسيحيين ببلاد الشام وفلسطين وبالتالي رحب هؤلاء بقدوم العرب المسلمين إلى مصر، وذكر ابن عبد الحكم صورا كثيرة لترحاب القبط بالعرب ومنها أن أسقف مدينة الإسكندرية بنيامين عندما علم بقدوم العرب إلى مصر لفتحها كتب إلى القبط يامرهم بحسن التعاون مع القائد العربي عمرو بن العاص وان الروم قد أنقطع ملكهم على مصر ؛ تعاونوا مع عمرو في الفرما، وأن القبط الذين كانوا بحصن بابليون خرجوا مع عمرو بن العاص عندما ذهب لفتح الإسكندرية وقاموا بإصلاح الطرق والجسور والأسواق ومنهم من كان يدلله على اقرب وافضل الطرق نحو الإسكندرية. وكان من أهم عوامل النصر للعرب على الروم وتمكينهم من فتح مصر هو .تصميم. القبائل العربية التي خرجت من الحجاز النشر الإسلام وكانت بمثابة كتائب بهذا الجيش ؛ بالإضافة إلى ترجيب أهالي مصر بالعرب. من أثر اضطهاد الروم لهم ؛ وتفكك الامبراطورية الروم أواخر أيام هرقل، وتفوق العرب في القتال . والرماية وحجهم لقتال والفروسية بعكس الروم الذين يميلون إلى . الدع والسكون ، أضف إلى ذلك كتب عمرو بن العاص للأقباط عهدا بحماية كنيستهم ، وكتب أمان للبطريق بنيامين وأعطى له وظيفته

مرة بعد أن نفاه الروم ثلاث عشر سنة واستقبله عمرو استقبالا رائعا بعد عودته إلى الإسكندرية ، وترك العرب الأرض. للمصريين وتعهدوا لهم بالحماية واهتموا بمشاريع الري ونظموا القضاء والضرائب وبنوا مقاييس على النيل.؛ ودفعوا الظلم البيزنطي عن كاهل القبط ؛ وأطلقوا لهم الحرية الدينية .

امتد نفوذ العرب بعد سقوط الإسكندرية نحو داخل مصر .وسائر مدنها، بل مدوا نفوذهم نحو برقة لتأمين مركزهم في مصر ؛ فقام عمرو بن العاص بالمسير إلى برقة وفتحها وفرض على أهلها الجزية ، وفي سنة ٢٢هـ تقدم عمرو نحو طرابلس وقيل إنه غزاها ٢٣هـ وفتحها أراد التقدم نحو بلاد المغرب ولكن الخليفة عمر بن الخطاب قد نهاه عن ذلك .

وايضا بعث عمرو قائده عبد الله بن سعد. لفتح بلاد النوبة وذلك لتأمين حدود مصر الجنوبية في سنة ٢١هـ ولكنه رجع دون أن يفتحها ؛ وعاود المحاول سنة ٣١هـ وفتحها زمن الخليفة عثمان بن عفان ووصلت حملته مدينة دنقلة عاصمة بلاد النوبة ، وبعد قتال مرير عقدت هدنة بين المسلمين وملك النوبة عرفت بالبقط ، وكانت عبارة عن معاهدة تحدد المعاملات السياسية والاقتصادية بين العرب في مصر والنوبة المسيحية، وأهم شروطها ألا يعتدي أي طرف على الآخر، وان يدفع النوبة إلى العرب حكام مصر عددا من الرقيق سنويا ، على أن تعطى مصر سنويا كمية من القمح والعدس ومنتجات مصر كل عام .

عاود الروم الهجوم على مصر سنة ٢٥هـ / ٦٤٥م فقد هاجموا مدينة الإسكندرية واستولوا عليها وطردوا الحامية العربية منها ؛ وكان ذلك خلال عهد الإمبراطور البيزنطي قيسطانز الثاني ، وكان الحاكم على مصر هو عبد الله بن سعد من قبل الخليفة عثمان بن عفان ؛ ولذلك طلب أهل مصر من الخليفة، سرعة إرسال عمرو بن العاص لطرده الروم من مصر؛ وبالفعل وصل عمرو وهاجم الروم وأجلاهم عن الإسكندرية ورجعت مصر ومدينة الإسكندرية إلى المسلمين نهائياً.

وهنا نعرض للموضوع أختلف فيه المؤرخون والرواة القدامى والمحدثون الا وهو حريق مكتبة الإسكندرية ، وهو الحريق الذي شب أثناء حصار المسلمين للمدينة ؛ وأول من ذكر قصة حريق مكتبة الإسكندرية هو المؤرخ عبد اللطيف البغدادي صاحب كتاب الإفادة والاعتبار وذكر أن عمرو أحرق المكتبة بتصريح من الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ وزاد هذه القصة افتراءات وأباطيل مؤرخ آخر جاء بعد عبد اللطيف البغدادي وأسمه أبو الفرج بن طيب يهودي اسمه (قارون او هارون) وله كتاب بأسم تاريخ الدول، واتهم عمرو بن العاص إنه أحرق : المكتبة ؛ ووزيع كتبها علي الحمامات في مدينة الإسكندرية لاستعمالها كوقود؛ وكلها أباطيل و أكاذيب غير منطقية لا يقبلها العقل بالنسبة لعمر بن العاص .

وان هذه الأسطورة لا أساس لها من الصحة أو السند التاريخي، فضلا عن إنكار التاريخ الحضاري

للمسلمين لمثل هذا التصرف ؛ لأن المسلمين شجعوا العلم والعلماء من كافة الملل والأديان، ولم يذكر

المؤرخون العرب من أهل الثقة والأمانة مثل الطبري وابن الأثير والبلاذري وابن عبد الحكم والكندي وغيرهم هذه الحادثة ؛ والحقيقة إن مكتبة الإسكندرية قد قل شأنها قبل الفتح الإسلامي ونقل أغلب، مجلداتها إلى روما ، وقد يكون قد اختلط الأمر على هؤلاء الكتاب فظنوا أن الحريق الذي أصاب المكتبة سنة ٤٨٠ ق م عند. قدوم يوليوس قيصر إلى الإسكندرية. لمعاودة كليوباترة ضد أخيها ، فاعتقدوا ذلك حدث زمن عمرو بن العاص ؛ ولم توجد أي وثيقة تاريخية تثبت ذلك الأمر.

الفصل الثاني

انتشار الإسلام والعروية في مصر

جاء الإسلام كثورة إنسانية للمجتمع الإنساني عامة ، ولم يكن ثورة محلية خاصة بالمجتمع العربي في شبه الجزيرة العربية فقط ؛ إنما جاء الإسلام لعلاج المشكلات الإنسانية في العالم بطريقة موضوعية تماما ، لا دخل للمصادفة ولا الرغبات الشخصية منها إنما ليعالج أزمة العصر في كافة المجالات مثل الأحوال السياسية والروابط الاجتماعية والأدبية والنظم الاقتصادية والعلاقات الإنتاجية ؛ حتى يصل إلى الهدف السامي الحقيقي وهو إنقاذ البشرية مما هي فيه من براثن المجتمعات القديمة الظالمة .

وجاءت الفتوحات الإسلامية بالهدى ودين الحق لتهدى الأرواح الضالة وتنتشر الحق والعدل والمساواة ضد الباطل والظلم والفساد ؛ وظهر الإسلام كحتمية لضرورات إنسانية عامة ؛ لأن أهالي البلاد المفتوحة كانوا يدينون بطاعة اسمية لهرقل أو كسري ، ولا يحرصون أبدا على دين لا يفقهون فيه ؛ وأن الإسلام ظهر كثمرة جاءت في موعدها الطبيعي ؛ وأقبل عليه الناس إقبالا عظيما حتى يخلصهم مما هم فيه من الذل والهوان ، وحتى يشعرون بكرامة النفس وعظمة الأخلاق .

دخل الإسلام مصر سنة ٢٠هـ/٦٤٠م أي بعد سبع سنين فقط من تحركه خارج الجزيرة العربية ، وكان إيذانا ببداية عملية كبرى غيرت من كيان الشعب المصري بالتدريج وأنتت ثمارها خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة ؛ فكانت سياسة الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يكون للعرب امة متماسكة و رب واحد بعيدة عن الاختلاط بالأجانب فمنعهم من فلاحه الأرض ، وأمرهم أن يقيموا في مراكز معينة مثل

الفسطاط في مصر ، وهدف عمر من ذلك أن يتفرغ العرب للإدارة والأعمال العسكرية ، وأن يكون كل مسلم جنديا من جنود الإسلام، وأن يحصل من بيت المال عطاء مقابل خدمته العسكرية.

وحرّم عمر على الجنود العرب امتلاك الأرض أو زراعتها أو الاختلاط مع أهالي البلاد المفتوحة ليجعل منهم طبقة عسكرية ممتازة ، ألا يركنوا إلى الدعة والترف والرفاهية ؛ والا تضيع اللغة العربية لغة القرآن بين شعوب هذه البلدان ولغاتها المختلفة ؛ كما اشترط عمر بر الخطاب عند بناء مدينة الفسطاط على القائد عمرو . بن العاص ألا يبنوها في مكان يحول بيني وبينهم بحرا وتظل معسكرا للجنود العرب ، ولا يختلطون بأهالي البلاد حتى يحافظ على الجنس العربي وعدم اختلاط الأنساب ؛ ولذلك سارع أهالي البلدان إلى الدخول في الإسلام وتعلم العربية للاختلاط بطبقة العرب والحصول على نفس الحقوق والواجبات التي تمتع بها العرب.

ولكن في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه خرج العرب من المعسكرات و اقتنوا الأرض والضياع وتحولت المعسكرات أيضا إلى مدن عامرة وتعلم العرب الزراعة وسائر المهن وسكنوا البيوت والقصور بدلا من الخيام ، و اختلطوا. بغيرهم من السكان المحليين ، وشارك أهالي الأنصار العرب في الأعمال و أقبل العرب على امتلاك الجوّاري و العبيد و الإماء اللاتي اتخذهن للتسرى و الإنجاب

وبالإضافة إلى عتقهم بعد إعلان إسلامهم ، فيصبحون أحرارا مثل أي شخص في المجتمع العربي الإسلامي .

(١) بناء مدينة الفسطاط:-

بعد أن استتب الأمر للعرب في مصر، أراد عمرو بن العاص أن يتخذ مدينة الإسكندرية مسكنا للعرب وكتب بذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب الذي رد عليه قائلا " إني لا أحب أن تنزل - منزلا يحول بيني وبينهم ماء في شتاء ولا صيف " ، فتحول عمرو من الإسكندرية إلى موقع مدينة الفسطاط، وسميت بهذا الاسم لأنه عندما توجه عمرو بن العاص لفتح الإسكندرية أمر الجند بنزع فسطاطه (خيمته) ، " فإذا فيه يمام قد أفرخ، فأمر عمرو جنده بتركه ، فلما رجع المسلمون من الإسكندرية بعد استيلائهم عليها ؛ قالوا أين نزل ؟ فقالوا : فسطاط عمرو أي بجوار خيمة: عمرو بن العاص التي كان قد تركها .

وانضمت القبائل العربية الممثلة في جيش عمرو بن العاص إلى بعضها البعض ، وتنافسوا في المواضع، فولى عليهم معاوية بن خديج التجيبي وشريك بن سمى الغطريفى وعمرو بن قحزم الخولاني وحيويل بن ناشرة المعافرى، بان يشرف على خطط السبائل بالمدينة ويفصلوا بينهم في المواضع أو المنازل، وكان ذلك في سنة ٢١ هـ ، واتخذت كل قبيلة عربية خطة خاصة بها، وكانت بعض القبائل

تنزل متحالفة مع قبائل أخرى في خطة واحدة مثل خطة أهل الولاية ، وهم جماعات مختلطة من قریش ومزينة والأنصار وخزاعة واسلم وغفار وجهينه وثقيف ودوس وعبس وجرش وليث بن بكر والعنقاء .

وكانت لقبيلة مهرة خطة (حارة او شارع) بالفسطاط ، وخطة لكل من القبائل الآتية : قبيلة لحم ، وقبيلة تجيب ، و قبائل اللفيف، وأهل الظاهر، وهمدان وبلى والصدف وخطة للفارسيين وخطة لمسحج وسبأ وغطيف ووعلان ويحسب ورعين وذى الكلاع والمعافر والرحبة ووائل وقبض والحمروات الثلاثة وهم قبائل روبيل ، وبنى نبه ، وبنى الازرق ، وأصبحت مدينة الفسطاط بمركزا إداريا وحربيا للعرب في مصر منذ بنائها ، كما كانت مركزا دينيا أيضا ؛ وكان هذا الموقع فضاء ومزارع يحده شرقا جبل المقطم وغربا نهر النيل وجنوبا بركة الحبش وشمالا جبل يشكر .

كما اختط عمرو بن العاص، المسجد الجامع الذي عرف باسم تاج الجوامع العتيق، وعرف أيضا باسم جامع عمرو بن العاص وكان بمثابة مدرسة إسلامية تنتشر تعاليم الدين الإسلامي و مركزا للقضاء ، وبالإضافة إلى إقامة الصلوات اليومية والجمع، وذكر بتلر أن كلمة فسطاط مأخوذة من اللفظ اللاتيني fossatum أي الحوض أو المعسكر ، كما كانت كلمة فسطاط بالعربية تعني المعسكر او الجماعة وأن العرب، أطلقوا عليها هذا الاسم من واقع كلماتهم العربية .

بنى العرب الفسطاط في بداية نشأتها بالطوب اللبن ، وكان كل سكن لا يزيد عن طابق واحد وأراد خارجة بن حذافة أن يرتفع بالبناء وشيد غرفة فوق سكنه ، وقد بلغ ذلك الخليفة عمر بن الخطاب الذي أمر عمرو بن العاص بهدم هذه الغرفة أو الحجرة حتى لا يكشف خارجة عورات جيرانه ، وفي زمن الخليفة عثمان بن عفان اتسعت المباني والمنشآت بالفسطاط وشيد عبدالله بن سعد قسرا فخما أطلق عليه قصر الجن ، وقام مروان بن عبد الحكم ببناء دارا كبيرة له في مصر سنة ٦٥ هـ / ٦٨٤ م ، كما بني عبد العزيز بن مروان دارا أطلق عليها دار الذهب .

وكان من أهم معالم الفسطاط الميادين والأسواق الواسعة والحمامات الكثيرة ودور الصناعات المتسعة ، ووصفها " الاضطخري المتوفى ٣٨٠ هـ بان بيوتها تتكون من اربع طبقات او خمس ويسكن الدار الواحدة حوالى مائتي نفس ، وفي خلال كانت منازلها مرتفعة جدا وتراوح بين سبع طبقات واربع عشر طبقة وشوارعها تضاء بليل والنهار ، لان ارتفاع المنازل كان يحجب ضوء الشمس بالنهار ، وكان بها ستة وثلاثون الف مسجد وثمانية الاف شارع ، وألف ومائة وسبعون حماما وذلك خلال القرن الخامس الهجري .

وظلت الفيسطاط مزدحمة بالسكان خلال عصر الولاة والعصور الأخرى التي أعقبت هذا العصر ووساؤها مزدحما بالمراكب الداخلة والخارجة والراسية ، وبها دار لصناعة السفن، وعلى الرغم من أن

هذه المدينة احرقت سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م على يد صالح بن علي القائد العباسي عندما استولى على مصر وقتل آخر خلفاء الامويين مروان بن محمد كذلك تعرضت للسيلاب والنهب في نهاية الدولة الطولونية سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٥م على يد محمد بن سليمان الكاتب الذي أسقط الدولة الطولونية ، وأطلق العنان لجنوده لتخريب ونهب مدينة الفسطاط .

أما عن أهم معالم هذه المدينة فكان مسجد عمرو بن العاص والذي بناه عمرو سنة ٢١هـ ، على شاطئ نهر النيل ، في منطقة زراعية ، وقد أشرف على تحديد القبلة ثمانون صحابيا ، وقام بعمل المنبر لهذا المسجد رجل قبطي يسمى بقطر النجار من أبناء مدينة دندرة بصعيد مصر ثم بدأ الولاية من بعد عمرو بن العاص في زيادة وتعمير الجامع ، وأول من زاد فيه الوالي مسلمة بن مخلد الأنصاري والي مصر من قبل الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان بنة ٥٣هـ / ٦٧٣م ، وزاد فيه بالاتساع وزينه وفرشه بالحصر .

وساهم في اتساع هذا الجامع الوالي عبد العزيز بن مروان في سنة ٧٩هـ / ٦٩٨م ، والوالي عبدالله بن مروان سنة ٨٩هـ / ٧٠٧م ، الذي رفع سقفه إلى أعلى ؛ والوالي قرّة بن شريك العباسي هدم الجامع وأعاد تشييده من جديد وذلك استجابة لأوامر الخليفة الأموي الوليد بن عبدالمك سنة ٩٣هـ / ٧١٢م، وأضاف اليه مساحات كثيرة من الأرض المجاورة .

أما في خلافة سليمان بن عبد الملك فقد شيد اسامة بن زيد التتوخي متولى خراج مصر سنة ٩٧ هـ / ٧١٥ م شيد بيت المال التي اضيفت إلى الجامع في زمن الفاطمي العزيز بالله سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م ، ويعتقد أن هذا النوع من المباني كان مخصصا لأموال اليتامى ، وفي سنة ١٣٣ هـ / ٧٥٠ م ادخل صالح بن على زيادة على الجامع دار الزبير بن العوام ، ثم أضاف إليه موسى بن عيسى والي مصر من قبل هارون الرشيد سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م زيادة كبيرة في مؤخرة الجامع ، وأضاف عبد الله بن طاهر مساحة جديدة إلى المسجد من ناحية الجنوب تعادل مساحته التي كان عليها.

وفي العهد الطولوني حثت إصلاحات وتجديدات في هذا المسجد وقام بها خماروية بن أحمد بن طولون سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م ، اذ انفق عليه ستة آلاف وأربعمائة دينار ، أضف إلى ذلك بعض الإصلاحات التي حدثت في العهد الفاطمي زمن الخليفة " العزيز بالله سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م ، وزمن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي سنة ٤٠٣ هـ / ١٠١٢ م ، بالإضافة إلى العديد من الإصلاحات التي تمت خلال العهد الأيوبي و المملوكي وكان هذا الجامع بة حلقات العلم بجانب أداء الفرائض الدينية، وكان به خلال القرن الرابع الهجري مائة وعشر حلقة ، وكان به مجالس للعلم السيدات، ومجالس القضاء، ومجالس القصصي وهو اقدم جامعة علمية بمصر.

(٢) دور القبائل العربية في تعريب مصر :

كان أول أهداف القبائل العربية التي صاحبت جيش عمرو بن العاص و الفاتحة لمصر هو سرعة نشر الإسلام والعروبة بين المصريين ؛ ووجد الإسلام في تربة عضبة لبذر بذور الإسلام و : العروبة معا بين أهالي مصر ؛ وكان أعظم المصريين قد أجهدهم طول الصراع الديني المذهبي بين الأرثوذكس والكاثوليك وبين اليعاقبة و الملكانيين و اردوا الخلاص من هذا النزاع الدائم ، وراوا في اعتناق الإسلام فهو الخلاص من هذه المحن، من دفع الجزية التي فرضها العرب عليهم ؛ بل اعتنق بعض الروم الإسلام والذين فضلوا البقاء في مصر و عدم الرجوع إلى القسطنطينية ؛ وذلك أسوة ببعض الروم في الشام و الذين اعتنقوا الإسلام و دخلوا في زمرة المسلمين.

شمل الإسلام كل طبقات المجتمع القبطي ، حتى أن فريق من الرهبان دخلوا الإسلام مثل يوحنا أحد رهبان دير سيناء ؛ وكثر توافد العرب على مصر واختلطوا بأهلها جميعا ، شمل الإسلام كل طبقات المجتمع القبطي، حتى أن فريق من الرهبان دخلوا الإسلام مثل يوحنا أحد رهبان دير سيناء ؛ وكثر توافد العرب على مصر واختلطوا بأهلها جميعا ، تولت صلات الترحام والنسب بين العرب و القسبط ؛ و انتشر الإسلام أولا في المدن المصرية الكبرى اما الريف فكان ينتشر فيه ببطئ وهدوء وذلك عندما اقامت القبائل العربية في الريف.

أخذ العرب على عاتقهم تعريب أهل مصر لغويا ، وكان من أهم عوامل الوصول إلى ذلك هو التعريب الجنسي وذلك بالمخالطة و مصاهرة الأقباط الذين يدخلون في الإسلام ، فكانت اللغة الرسمية في مصر اللغة اليونانية ومثت لغة الإدارة والحكام والثقافة والعلوم وأيضا لغة العبادة داخل الكنائس المصرية ، أما اللغة القبطية فكانت اللغة المتداولة بين الشعب المصري وعندما أصبحت اللغة العربية هي لغة الطبقة الحاكمة ، أقبل عليها المصريون على الرغم من بعدها من اللغة القبطية واليونانية ؛ . حتى أصبحت العربية هي لغة الدواوين في مصر منذ عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (٦٦/٨٦ هـ) ، وأصبحت بمرور الوقت لغة الثقافة و الإدارة و الدين داخل العمل والبيوت.

ونجد أن العرب بعد استيلائهم على مصر لم يتخذوا من أهلها عبيدا ولا سبيا ولا إماء ، ولكن عاملوهم الند بالند أي المساواة ، فكان القبطى عندما يدخل في الإسلام يتزوج من بنات هؤلاء العرب ، وبالتالي كان يزوج بناته لابناء العرب على قدم المساواة ؛ الأمر الذي أدى إلى كثرة دخول الأقباط في الإسلام في أمن وطمأنينة ؛ وذلك على العكس تماما لما حدث في صلح عبدالله بن سعد مع أهل النوبة ، فكانوا يقدمون هدية من عدة رؤوس منهم إلى المسلمين في كل سنة ، وكذلك كان أهل برقة يسمح لهم بأن يبيعوا من أبنائهم ما أحبوا في جزيتهم ، و الجدير بالذكر أن سياسة التسامح الديني التي اتخذها العرب تجاه الأقباط كانت من أهم عوامل ازدياد الصلات بين الفريقين ، فنجد أن الأقباط حلوا محل الروم الذين غادروا مصر

، و كان بالحكومة الإسلامية بالفسطاط كاتبان قبطيان لادارة مصر العليا ومصر السفلي وكان اسمهما اثناسيوس وإسحاق ، وذلك في عهد الوالي عبد العزيز بن مروان على مصر وأيضا كان والي الصعيد قبطيا واسمة بطرس، وقد أعتنق الإسلام بعد ذلك ، وكان حاكم مريوط قبطيا واسمه تاو فانوس ، وأيضا إلى الخليفة المأمون حين قدم إلى مصر مدينة بورة أحد الأقباط وسمح له بيناه كثير من الكنائس بهذه

المنطقة

وسمح العرب بحرية الدينية للأقباط و سمحوا لهم ببناء الكثير من الكنائس في مختلف أرجاء مصر مثل الإسكندرية ، و حلوان ، حتى أن الفسطاط المدينة الإسلامية سمح لهم ببناء كنيسة بها فبنيت أول كنيسة بها أثناء ولاية مسلمة بن مخلد الأنصاري، ونجد ان معظم ولاية مصر من العرب سمحوا بإصلاح كثير من الكنائس وإعادة بنائها ، مع السماح ببناء الكنائس في كثير من بلدان مصر واعتبروها انها من مظاهر تدمير البلاد .

وعلى ذلك ذهب العرب ينشرون دينهم في أمن وأمان واتبعوا سياسة لا ضرر ولا ضرار بمن أراد الدخول في الإسلام له في ذلك، ومن فضل الجزية وبقي على دينه له ذلك؛ فبعد أن اختط العرب مدينة الفسطاط، نجد أن بعض القبائل عبرت نهر النيل نحو الغرب واتخذت مكانا أطلقت عليه اسم "الجزيرة" أي من اجتازوا النهر، وكان أهم هذه القبائل قبيلة همدان اليمنية وبعض القبائل التي نقلت الإقامة بالجزيرة

وذلك سنة ٢١هـ / ٦٤١م ؛ و اختطوا في الجيزة خطا مثل خطط الفسطاط تماما ، كما قام العرب بإنزال قوم منهم بالإسكندرية ، وأقاموا داخل منازل الإسكندرية ، وكان منهم بعض الصحابة ، والذين اختطوا بالإسكندرية ومنهم الزبير بن العوام.

ومن أهم عوامل نزوح القبائل العربية إلى مصر هو أن كل ولي عربي على مصر كان يصحب معه أعدادا من هذه القبائل ليكونوا عوناً له في مصر ، بالإضافة إلى الخلفاء الذين يرسلون أعدادا كبيرة لتعزيز الجند العربي في مصر ، ونجد أن عدد الجنود العرب في عهد معاوية بن أبي سفيان بلغ أربعين ألفاً من العرب ، ونجد أيضاً في عهد الوالي عبد العزيز بن مروان سنة ٦٥هـ ، طلب إرسال عددا من العرب القيسية ليحدث توازن مع القبائل العربية اليمنية صاحبة الغلبة في مصر ، وفي عهد ولاية الوليد بن رفاعة الفهمي (١٠٩ - ١١٧هـ) على مصر نقل أعدادا كبيرة من القبائل العربية إلى مصر وكان أغلبها من قيس ، و أنزلهم الدلتا.

وفي عهد الوالي عبدالله بن الحجاج طلب قبائل عربية من قيس منها مرت إليه مائة أهل بيت من بني نصر ومائة أهل بيت من بني عامر ، ومائة أهل بيت من بني هوازن ومائة أهل بيت من بني سليم فأنزلهم في بلبيس وأمرهم بالزراعة ؛ وأشتغلوا أيضا بنقل التجارات على ظهور الابل بين القلزم ومدن شرق

الدلتا ، وفي نهاية حكم الخليفة هشام بن عبد الملك سنة ١٢٥هـ كان في بلبيس ألف وخمسمائة أهل بيت من قيس .

واختلطوا هؤلاء العرب بالأقباط وعملوا معهم في الزراعة ، وحدث تزواج بين الفريقين وكثر الإسلام بقرى مصر ونواحيها وذلك منذ انتشار الإسلام في منطقة الحوض الشرقي بالدلتا على يد أبناء قبيلة قيس ، واستقدم الوالي الحوثة بن سهيل الباهلي ١٢٨-١٣١هـ قبائل من قيس أيضا إلى مصر حتى بلغت أكثر من ثلاثة آلاف أسرة منهم في مصر ، ثم توالدوا وقدم عليهم من البادية من الحجاز كثير من بني جلدتهم ، واصبح العرب ينتقلون بين أرجاء الريف والدلتا ويختلطون بأهالي مصر في هدوء وسلام.

وكان هناك نظام الإرتباع أي تحرك العرب إلى القرى المصرية في فصل الربيع ويرعون خيولهم في حقول البرسيم حتى تسمن ، وكان العرب يختلطون بالشعب المصري لتبادل الود وتوثيق صلات التعارف بين الفريقين ؛ وكان هذا النظام يتم وفق أساس مرسوم فكان والي مصر يكتب لكل قبيلة مكان مرتعبها ؛ وكانت أماكن الإرتباع قريبة من الفسطاط بالدلتا أو الصعيد ، وكانت فرصة للاختلاط بين العرب والقبط، وكان عمرو بن العاص يأمر جنوده أثناء الارتباع بحسن معاملة القبط وأن يكفوا أيديهم عن أموالهم وأبدانهم ، وان يعفو فروجهم عن أعراضهم ، ويغضوا أبصارهم عن نسائهم ، وأن يتجنبوا الترف في الأكل والملبس.

وأصبحت ظاهرة الارتباع عادة سنوية للقبائل العربية ، ومنها تعرفوا على البيئة المصرية ،
وتعرف المصريون على العرب وبمرور الزمن حثت تبادل المؤثرات المادية والأدبية ، حتى جاء بنتيجة
إيجابية من تمصير العربي وتعريب المصريين؛ حتى ظهر الإنسان المصري الجديد المسلم دينيا العربي
لغة ؛ وحدث تصاهر بين العرب والمصريين وهنا ظهرت الثقافة الإسلامية واضحة بأركانها الثلاثة وهي
الدين و اللغة و الدم ، كما كان هناك نظام الرباط أو الثغور في البلدان المصرية في السواحل و السجون
الحدودية فكان العرب يقيمون بها للحماية الأمر الذي سهل عليهم الاختلاط بالأقباط ، و أيضا نظام
الضيافة من جانب الأقباط للعرب الذين ينزلون فيها بقرى مصر و يقيمون بين الأقباط لمدة : ثلاثة أيام
يتبادلون فيها الود و الهدايا و المناظرات

والواضح أن العرب منذ فتحهم لمصر و انطلقوا بين المصريين و لم يقيموا سدا أو سورا بينهم و
بين أصحاب البلاد كما فصل الرومان من قبلهم إنما اختلطوا بهم من خلال ممارستهم للأعمال التجارية
في بلدان مصر، وكثير من القبائل فضلت الإقامة في مناطق أخرى غير الفسطاط ؛ و امتزج العرب
بالأقباط تماما حتى انهم أصبحوا في القرى يد واحدة وظهر ذلك في ثورة اسفل الأرض سنة ٢١٦هـ ضد
الحكومة في الفسطاط .

كما أن هناك قرار الخليفة العباسي المعتصم في سنة ٢١٨هـ الذي أمر فيه بإسقاط من في الديوان من العرب ؛ و جردهم من أعطيا تهم كجنود، و لذلك لم يتأثر بذلك القرار لأنهم مارسوا الأعمال و الحرف مع المصريين و اصبحوا يكسبون أرزاقهم من الأعمال مثل الزراعة و التجارة و الصناعات، مثل المصريين تماما، و ذابوا في الشعب المصري تماما ، و أصبح يطلق عليهم : المصريين مع احتفاظهم بالانتساب إلى قبائلهم حوالي قرنين من الزمان ؛ ومنذ القرن الثالث الهجري أصبح العربي ينتسب إلى البلدة التي يقيم فيها بدلا من اسم قبيلته .

و صاحب انتشار الإسلام بين الأقباط في مصر انتشار اللغة العربية أيضا ، فكانت لغة الكتابة و التخاطب؛ و نلاحظ أن انتشار اللغة العربية بين الأقباط كان أسرع من انتشار الإسلام ؛ حتى انه منذ بداية القرن الثاني الهجري ؛ و أصبحت اللغة العربية هي اللغة الأولى في مصر؛ بل أصبحت مصر بلد العلم و العلماء من كل جنس ؛ حيث وفد إلى مصر الإمام الشافعي و كان يناظر بعض العلماء المصريين من أهل مصر في علوم اللغة و الدين و كان يعجب لغزارة علمهم ، كما ظهر في ميدان العلوم الإسلامية في القرن الثالث الهجري احمد بن يحيى التجيبي المصري الحافظ ، عالم النحو و الشعر و الأدب و التاريخ و علوم الدين، و هذا يدل على قوة المصريين الأدبية والدينية.

ونرى أن مصر في ظل الإسلام قد تخلت نهائيا عن ماضيها القومي و لأول مرة في التاريخ ، و تخلت عن لغتها - القديمة ، و عشقت الإسلام و حضارته الإنسانية الرائعة ، و غيرت دينها أيضا و نهلت من تعاليم الشريعة الإسلامية السمحاء ، و أنها لم تصبح دولة إسلامية فقط، بل تتزعم العالم الإسلامي قاطبة و تلك بشهادة ابن خلدون فهي أم الدنيا و إيوان الإسلام ، و ظلت كذلك منذ القرن الأول الهجري وما زالت ينبوع العلم الإسلامي و فكره المتجدد .

(٣) موقف القبائل العربية من المصريين:

احترم العرب المصريين و عاملوهم معاملة حسنة لان الإسلام دين السلام و المحبة و الاخوة ؛ و لم يأت العرب للسلب و النهب و الغزو ، إنما جاءوا لنشر الإسلام و من اجل تهذيب الأخلاق و نشر العدل و التسامح بين الناس ، لم يحتقروا أي شعب من الشعوب التي استولوا عليها ، إنما عاملوهم في تواضع شديد كما أمر الإسلام و عاملوهم بالند ، علم سادة القبط بهذه المبادئ السامية و عرفوا العرب و أهدافهم ، و لذلك سارعوا لمساعدتهم منذ اللحظة الأولى الفتح العربي لمصر ، فتجد يوحنا أحد رهبان سيناء تعاون العرب و يساعدهم في أعمال الفتح لمصر و دخل عدد كبير من الأقباط الإسلام عن إيمان و عقيدة راسخة ، و ذلك رغبة منهم في الانتماء إلى دين الطبقة الحاكمة.

كان العرب يحاربون الروم البيزنطيين فقط و ليس المصريين ؛ حتى ذكر بعض المؤرخين المصريين مثل ساويرس بن المقفع : أن انتصار العرب هو غضب من الله على الروم بسبب عقيدتهم الخلقونية الفاسدة ، و ذكر يوحنا النقيوسي أن ذلك بسبب الاضطهاد للمصريين بأمر هرقل لقيس بالقضاء على الأرثوذكس ، أضف إلى ذلك كان بالجيش البيزنطي بعض العناصر المصرية الذين تعاطفوا مع العرب و فضلوا فتحهم لمصر ، و ذلك لما سمعوه عن سماحة العرب و دينهم القيم ، الأمر الذي سهل لعمرو بن العاص الانتصار على الحاميات البيزنطية في البلدان التي فتحها.

وآثرت القبائل العربية، التي فتحت مصر ضمان ولاء الأقباط لها؛ فقد عملت منذ اللحظة الأولى بأحاديث الرسول عليه السلام إذ أنه أوصى بقبط مصر خيرا في عدة أحاديث، منها قوله " .. أن الله عز و جل سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبلها خيرا فان لهم منكم سهرا و ذمة" ، وقصد بذلك السيدة هاجر المصرية زوجة إبراهيم الخليل عليه السلام وأم ولده إسماعيل ؛ كما كانت مارية القبطية زوج الرسول عليه السلام من الشعب المصري ، وظهر ذلك أن عندما أمر عمرو بن العاص بإعادة بطريق الإسكندرية بنيامين الذي ظل مختفيا من أعين الرومان بسبب الاضطاد الديني لمدة ثلاثة عشر عاما ، و هو الذي أمر الأقباط بمساعدة العرب و الثورة ضد الروم و قبرس حاكم مصر البيزنطي.

و اعاد العرب للأقباط مذهبهم الديني الأرثوذكس بعد أن ناضروهم ضد المذهب الملكاني مذهب هرقل ؛ و أعادوا لهم كنائسهم واديرتهم ، خططوا على أصحاب المذهب الملكاني حتى يقضون عليه ، و ينفرد الأرثوذكس بمذهبهم المسيحي على سائر المذاهب المسيحية الأخرى ، و نجد أن أصحاب المذهب الملكاني بمصر لم ينالوا حريتهم إلا في فترات قليلة كما حدث في .خلافة يزيد بن معاوية إذ استطاع تادروس أحد اتباع المذهب الملكاني أن يستعيد قوة هذا المذهب في الإسكندرية و مريوط بفضل ما قدمه من أموال إلى الخليفة ، أيضا أرسل الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك إلى عبيد الله بن الحجاب عامل الخراج على مصر بأن يعطى للملكانيين كنائسهم التي كانت قد أخذت منهم ، و ذلك على اثر الاتفاق الذي ابرم بين الخليفة و الإمبراطور البيزنطي ، و بعد ذلك قام بتنصيب بطريقا للمذهب الملكاني في مصر ، بعدما ألغي هذا المنصب منذ فتح العرب لمصر سنة ٦٤١/هـ٢١ م .

أطلق الحكام العرب الحرية الدينية للمسيحيين في مصر ، و أطلقوا معهم حرية بناء الكنائس ، و نجد البطريرك اغاتون يبني كنيسة الإسكندرية (القديس مرقص) و ذلك أثناء ولاية عمرو بن العاص زمن الخليفة عثمان بن عفان ، و في ولاية مسلمة بن مخلد على مصر شيدت أول كنيسة في مصر القديمة (الفسطاط) ، و شيدت كنيسة مار جرجس و كنيسة أبي قير داخل قصر الشمع في عهد والي

عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، و بني أيضا البطرقي إسحاق كنيسة حلوان ، و جدد كنيسة القديس مرقس زمن الوالي عبد العزيز بن مروان أيضا .

وفي زمن الوالي الوليد بن رفاعه بني الأقباط كنيسة أبي مينا داخل خطة الحمراء بمدينة الفسطاط ، وفي أثناء خلافة لهشام بن عبد الملك الأموي تم تجديد و بناء كنائس قبطية كثيرة ، و أيضا جددت كنيسة الروم بمنطقة قبة الهواء زمن خليفة العباسي المأمون (٢١٤ - ٢١٨ هـ) وفي عهد الوالي موسى بن عيسى على مصر سنة (١٧١ - ١٧٢ هـ) سمح بإعادة بناء الكنائس التي هدمها الولاة السابقون له ، و ذلك استنادا لفتوى الليث بن سعد و عبد الله بن لهيعة بان عامة الكنائس التي بمصر لم تشيد إلا في الإسلام و في زمن الصحابة و التابعين بوجه خاص أي أن معظم الكنائس شيدت في العصر الإسلامي بمصر .

و سمح الولاة العرب للأقباط بإقامة الإحتفالات والأعياد القبطية في حرية تامة ، على الرغم انهم لم يشاركوا الأقباط في هذه الأعياد كما شارك الولاة الإخشديون و الفاطميون خلال الفترة التي استقلوا بها بحكم مصر عن الخلافة العباسية ، و نجد أن المصريين الذين دخلوا في الإسلام و عربوة شاركوا إخوانهم الأقباط في أحياء أعيادهم القبطية أيضا ، و نكر ابن عبد الحكم الإحتفال بوفاء النيل و نكر أسطورة زيادة النيل في شهر بؤونة و ذلك عندما قال الأقباط لعمر بن العام أن النيل لا يجرى أو يزيد إلا إذا أحضروا

بننا بكرة و زينوها بأحلى المجوهرات و الملابس و القوا بها في النيل ، فلما سمع ذلك عمرو ، قال لهم : هذا لا يصير في الإسلام ؛ و كتب بذلك إلى الخليفة عمر بن الخطاب بالمدينة ، الذي رد عليه بورقة مكتوب فيها " من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر أما بعد فان كنت تجري من قبلك فلا تجري ، و أن كان الله الواحد القهار يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك ؛ ألقى عمرو بالبطاقة في النيل و لما اصبح الصباح ، رأوا النيل قد زاد إلى ستة عشر ذراعا و روى ارض مصر و كان عام رخاء علي أهل مصر .

و هناك احتفال شارك فيه المسلمون و الأقباط على السواء و هو صلاة الاستسقاء ويقام هذا الاحتفال عندما تنقص مياه النيل عن الحد المعتاد لها ؛ و قام بهذه الصلاة الوالي حفص بن الوليد ورود - زمن الخليفة هشام بن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥ هـ) ؛ و قام بها أيضا الولاة المسلمون من بعده علي مر العصور ؛ كما سمح الولاة العرب بإقامة الصلوات داخل الكنائس باللغة القبطية بدلا من اللغة اليونانية ؛ بالإضافة إلى الأسماء اليونانية للبلاد ورجعت مرة أخرى إلى الأسماء القبطية مثل أسم أخميم بدلا من الاسم اليوناني بانوبوليس و الاشمونين بدلا من هرموبوليس .

و ترك العرب الوظائف الإدارية في أيدي الأقباط ، فكان في زمن الوالي عبد العزيز بن مروان سنة ٧٠ هـ كاتبان قبطيان الإدارة شئون مصر العليا و السفلي ؛ بالإضافة إلى رؤساء المالية في مصر

طوال العصر الأموي كانوا من الأقباط؛ كما كان حاكم مدينة بورة - مدينة بالوجه البحري- قبطيا و من أهل هذه المدينة ، و سمح له العرب ببناء كثير من الكنائس بها؛ و لم يتدخل الولاة العرب في انتخاب البطارقة في تركوها حرة بين الأساقفة الأقباط يقررون يا يريدون بالانتخاب و كان الوالي يؤيد ما اجتمعوا عليه.

وننقل إلى طائفة اليهود بمصر و كان زعيم أو رئيس هذه الطائفة يسمى باسم رئيس اليهود و كان له سلطة تشريعية كبرى الى أبناء جنسه ، و كان اليهود في مصر يخضعون لنفوذ رئيس اليهود في مدينة بغداد ، و الذي كان يلقب براس الجالوت ، و لما قامت الدولة الفاطمية في مصر، عزلت رئيس اليهود المصرى بعيدا عن رئيس اليهود في بغداد ، فأقامت لرئيس اليهود في منصبا عرف بلقب الناجد ، وكان يمتد نفوذه على اليهود في مصر وبلاد الشام في الزمن الفاطمي .

وكان رئيس اليهود الحق في الإشراف على الطوائف اليهودية الثلاث ، و أن يشرف على اتصالاتهم بالدولة ، و له الحق في اختيار رؤساء هذه الطوائف ، ويوقع العقوبات طبقا لأحكام . الديانة اليهودية ؛ و كان يشارك في العمل في خدمة مهمات الدولة الإسلامية في مصر؛ و أن تكون لحكامه أيضا لا تتعارض مع أحكام الدولة ، و أن يكون ملما بأحكام الديانة اليهودية و اللغة العبرية تماما، و من الملاحظ أن حكام مصر من العرب كانوا دائما يعترفون برأي أهل الذمة و مشاركتهم في التوقيع على معظم الآراء

و القرارات ، و عملوا على رعايتهم وفض المنازعات التي نشبت بينهم، و كانوا يخاطبون رؤساء أهل الذمة باحترام ظاهر .

تبوأ أسقف دير سانت كاترين بمكانة عظيمة لدى الولاة - العرب في مصر ، فخاطبوه أحيانا بلقب البطريرك و ألقاب التعظيم النشريف و عاملوهم بكل احترام و تقدير؛ و كان الولاة في بعض الأحيان يطلبون من البطاركة في أوقات الحروب و الفتن و الأزمات الاقتصادية تدبير بعض الأموال اللازمة لعلاج هذه الأحوال؛ و أستعمل هؤلاء الولاة التسامح مع أهل الذمة ، و سمحوا لهم بردع رعاياهم إذا ما قاموا بفتن أو إخلال بالأمن .

أما من جهة القضاء فادخل العرب نظاما قضائيا يقوم على الشريعة الإسلامية بين المسلمين ؛ وسمحوا لأهل الذمة يقاضي ذمي يحكم بينهم ؛ أما إذا احتكموا إلى القاضي المسلم فكان حكم بينهم بالعدل و الشريعة الإسلامية، ففي أواخر العصر الأموي كان القاضي خير بن نعيم الحضرمي (١٢٠ ١٢٨ هـ) كان يجلس على باب المسجد بعد صلاة العصر و يحكم بين النصارى و اليهود و كان يقبل شهادة النصارى على النصارى و اليهود على اليهود ، و كان يحكم بينهم جميعا بالمساواة و العدل، و كان القضاة في مصر ، يخصصون يوما في منازلهم للقضاء بين أهل الذمة ؛ . حتى جاء القاضي محمد بن مسروق

الكندي (١٧٧ - ١٨٤هـ) و سمح لأهل الذمة بالدخول إلى المساجد لاقامة الأحكام بينهم حتى و ولو

كان المتخاصمان من أجل الذمة كانا يدخلان المسجد شأنهم شأن المسلمين .

الفصل الثالث

نظم الحكم و الإدارة في مصر الإسلامية

بعد أن استتب الحكم للعرب على مصر بمقتضى معاهدة صلح بابليون الأولى سنة ٢٠ هـ / ٦٤١ م ،
و وجدوا بها نظاما قامت منذ قديم الزمن ، و أبقى العرب على هذه النظم ، و اصبح العرب يشرفون على
الإدارة بوجه عام ، مع مراعاة توليهم المناصب العليا.

اولا : النظام الإداري :

وكان على راس هذا النظام المالي الذي يعين من جانب الخليفة المسلم الذي كان مقره المدينة المنورة
ثم دمشق ثم بغداد ؛ و كان يطلق عليه " أمير مصر ، و كان يقيم في عاصمة البلاد مثل الفسطاط و
يسكن في دار الإمارة ؛ و مسكن أول عربي و هو عمرو بن العاص دار الإمارة بمدينة الفسطاط و التي
تقع في الشمال الشرقي من الجامع المسمى باسمه؛ و كان الوالي له السلطة العامة في مصر و لا يسأل
إلا أمام الخليفة مباشرة ؛ و من أهم أعماله إمامة المسلمين في الصلاة في أيام الجمع و الأعياد و لذلك
أطلق عليه أمير الصلاة ، و تذكر ولايته بأنها ولاية الصلاة .

و العمل الثاني للوالي هو قيادة الجند و رئاسة الجيش ، وكان له الحق أن ينيب عنه قائدا للجيش
عند الفتح أو لأعمال الحماية و غيرها و احيانا كان الوالي يقوم بالإدارة المالية أي الخراج مما يجعل للوالي
السلطة المطلقة في الولاية ؛ و كان الخليفة في بعض الأحوال يعطى الخراج إلى شخص آخر يطلق عليه
عامل الخراج و بعيدا من سلطة الوالي و يكون مسئولا أمام الخليفة مباشرة ؛ و يكون منافسا للوالي و يحد

من نفوذه و خاصة في الأعمال المالية ؛ و حدث ذلك عندما طرد عمرو بن العاص الروم من الإسكندرية سنة ٢٥ هـ زمن خلافة عثمان بن عفان و أراد عثمان تولية عمرو على الصلاة ، و عبد الله بن سعد على الخراج فقال عمرو " أنا إذا كمان كماسك البقرة بقرنيها و غيري يحلبها " و ترك ولاية مصر رافضا ولاية الصلاة فقط دون الخراج.

و كان الوالي ينوب عن الخليفة في إدارة مصر فهو يشرف على شئون الجيش و أمور الدين ، و يعين صاحب الشرطة ليعاونه في حفظ النظام في الأمن، و يعين صاحب البريد ، و يعين القاضي بعد إذن الخليفة ؛ و كان يعاونه الكتاب و المشرفون على أعمال الري في البلاد ، و يعين صاحب الخراج إن كانت له السلطتين من قبل الخليفة ؛ و الوالي الاعتماد على صاحب الكورة و على ما زوت القرية أي شيخها في إدارة شئون الكورة و القرية ، كما كان يعتمد على جسطال الكورة و هو الموظف المختص على الأوضاع المالية بإقليمه، و كان الوالي يعين هيئة مركزية للإشراف على شئون الري في مصر ، و بدورها كانت تعين عمال و موظفين يعملون باستمرار على تمهيد و اصلاح الجسور و حفر الترعة ، الاهتمام بمرافق الزراعة و الري و الجسور .

والى مصر حق الإشراف على شئون الشرطة ، و ينفرد بتعيين صاحبها و كان يعتبر نائب الوالى
 لانه ينوب عنه أثناء غيابه لمرضه أو للحج أو لأي أسباب أخرى ، و ومتولى الشرطة كان ينوب عن
 الوالى في إمامة الصلاة و حدث ذلك عندما . أناب عمرو بن العاص صاحب شرطته خارجة بن حذافة
 للصلاة مكانه و قام بقتله الخارجى عمرو بن بكر أثناء فتنة علي بن أبي طالب و معاوية ابن أبي سفيان
 ، و أحيانا كان الخلفاء يعينون صاحب الشرطة كما قام الخليفة العباسي المامون بتعيين صاحب شرطة
 مصر سنة ٢١٧ هـ عندما جاء لمصر للقضاء على الثورات و القلاقل بها ، و كان وإلى مصر غالبا
 عندما يعين صاحب الشرطة فكان عادة يكون من أقاربه او زويه .

ومن أهم أعمال صاحب الشرطة في مصر المحافظة على الأمن الداخلي بمنع الجرائم و عقاب
 الجناة وتنفيذ العقوبات التي تحكم بها القضاة و بذلك تعد الشرطة من أهم الوظائف السياسية و الدينية في
 مصر الإسلامية ، و كان صاحب الشرطة يجمع القضاء و الشرطة معا ، و كان يحافظ على الاخلاق
 و تشر الفضيلة و القضاء على الفساد في البلاد ، و المعاونة في إخماد الحرائق ، و تحصيل الجزية ، و
 ضرب النقود ، فكان صاحب الشرطة يتولى كل هذه الأعمال نتيجة لتقعة الوالى في شخصه القوي .

و كان مقر صاحب الشرطة في مدينة الفسطاط مع إقامة الوالى ، وأنشئت شرطة جديدة بمدينة
 العسكر منذ إنشائها على يد صالح بن على سنة ١٣١ هـ ، و أصبحت شرطتين ، شرطة عليا و شرطة

سفلي بالفسطاط و ذلك طبقا لتقسيم مدينة الفسطاط عمل فوق و عمل اسفل ؛ و صاحب شرطة الفسطاط هو متولى الشرطة وصاحبها في مصر وله اليد الطولى على الشرطة العليا في مدينة العسكر، و كان لصاحب الشرطة حق منع النساء من الخروج من بيوتهن و التوجه إلى الحمامات و المقابر ، و سجن المؤنثين و النوائح ، و بلغ من الأمن في مصر الإسلامية أن أبواب الدكاكين كانت لا تغلق ليلا ولا نهارا إنما يضع عليها شباك لمنع الكلاب من دخولها ليلا؛ و أمنت الطرق و الحمامات و أستغلت موارد البلاد اعظم استغلالا.

وجاءت وظيفة صاحب البريد في مصر من أهم الوظائف العظيمة ، و لم تكن موجودة زمن الخلفاء الراشدين إنما بدأت خط العهد الأموي، و يقال أنها ظهرت في عهد معاوية بن أبي سفيان ؛ و أمر بعمارة الطرق ، ووطد العباسيون كثيرا من الطرق و جعلوها متصلة ببغداد من كافة الجهات في البلدان ؛ و كان البريد نظاما رسميا للحكومة و ليس للشعب ؛ و تطور هذا النظام و استخدمه الخلفاء العباسيون التجسس علي ولاية الأقاليم و عمالهم، و كانت هذه الوظيفة تعني الخلفاء و المهمات الرسمية بينهم وبين الولاية .

ومن أهم النظم العربية و الإسلامية التي ظهرت بمصر الإسلامية نظام القضاء الذي يقوم على أساس الشريعة الإسلامية أما النصارى و اليهود فكان لكل منهما قضاءه ؛ وكان عمر بن الخطاب أول من استتاب عنه بعض الأشخاص الذين يقومون عنيه بالقضاة في الولايات الإسلامية، وهو الذي عين أول

قاضي بمصر و هو عثمان بن قيس بن ابي العاص المهمل بننة ٢٣ هـ، وكان أحيانا يقوم الولاية في مصر بتعيين القضاة ؛ حتى أن الخلية أبي جعفر المنصور ولى قضاء مصر لعبد الله بن لهيعة سنة ١٥٥ هـ ؛ و من بعد ذلك رأينا الخلفاء هم الذين يعينون القضاة في مصر .

وفي بعض الأحيان كان القاضي يشرك الخليفة في الحكم في بعض المسائل الغامضة و من أمثلة ذلك القاضي عياض بن عبيد الله الأزدي استفتى الخليفة عمر بن عبد العزيز في مسألة فافتاه فيها ، والجدير بالذكر ان النظام القضائي نشأ بمصر بسيطا ثم تطور مع مرور الزمن وكانت الاحكام لا تدون ، و لكن حدث مرة أن اختصم إلى القاضي سليم بن عتر في ميراث فقضى بين الورثة ، ثم أنكروا حكمه و عادوا إليه ثانية فقضى بينهم و كتب بذلك سجلا؛ فكان أول قاضي يسجل سجلا بحكمه ؛ كما اتخذ القضاة شهودا على أحكامهم فقد اتخذ القاضي المفضل بن قتادة (١٧٤- ١٧٧ هـ) عشرة شهود رجال الشهادة ؛ و كان القضاة يداومون السؤال عن هؤلاء الشهود لمعرفة مدى صدقهم ، و من ثبت عدم عدالته فكان يسقط من الشهادة.

ومن ناحية التقسيم الإداري لمصر بعد الفتح مباشرة أي منذ سنة ٢٠ هـ / ٦٤١ م ، فكانت مقسمة إلى قسمين إداريين و هما مصر العليا و مصر السفلي ، و كل قسم كان مقسم إلى أقسام أو كسور ، و كان بمصر ثمانين كورة ، و كل كورة كانت به مقسمة إلى عدة قرى ؛ و كان رئيس الكورة يسمى صاحب

الكورة كما أن العرب احتفظوا بالأسماء القديمة فمثلا استعملوا كلمة بجارش (كورة) ، و بجاوكوس (صاحب الكورة) ، و جسطل الموظف المشرف على الأموال و الموازين و هي مشايخ القرى.

و من ناحية أخرى فقد كان والى مصر يشرف على بلاد برقة وتوابعها من شمال إفريقية ؛ و ظهر ذلك خلال ولاية عمرو بن العاص ، و"ولاية - عبد العزيز بن مروان (٦٥ - ٨٦ هـ)، و تذكر الدكتورة سيدة الكاشف، ان الخلفاء العباسيين اتبعوا نظام الإقطاع منذ عهد الخليفة هارون الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ) و هي إنطباع بعض الأقاليم لكبار الشخصيات على أن يدفعوا مالا به الخلافة ، و اختلف هذا النظام من الإقطاع في أوروبا لأن الإقطاع الأوروبي كان يتوارثه أبناء صاحب الإقطاع أبناء صاحب الإقطاع ، أما في الشرق فكان ينتهي بموت الإقطاعي ، و اقطع الخليفة هارون بلاد المغرب لإبراهيم بن الأغلب سنة ١٨٤ هـ و في عهد الخليفة المعتمد (٢١٨-٢٢٧ هـ) قطع أحد الأتراك من قادته و هوأشناس التركي ولاية مصر و ذلك سنة ٢١٩ هـ ، وكان يذكر اسم اشناس مع الخلفية في خطب الجمعة ؛ و ضربت السكة باسمه و نقش اسمه على الموازين و المكاييل ؛ و ظل اشناس صاحب إقطاع مصر و هو مقيم ببغداد وولى مصر أحد الأشخاص من قبله حتى مات سنة ٢٣٠ هـ ؛ و اقطع الخليفة الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) القائد التركي ايتاخ مصر اقطاعا له ، و اقطعت مصر باكبك التركي و الذي أرسل احمد بن طولون

نيابة عنه لحكم مصر سنة ٢٥٤ هـ ؛ و فضل بكباك البقاء بمركز الخلافة حتى لا تحاك ضده الفتن و
الدماس.

الخراج:-

و هو مقدار ما يؤخذ على الأراضي الزراعية من ضريبة و كانت تحصل عينا و نقدا ؛ و كانت
تحصل ما بين دينارين و دينار واحد و ثلاثة أرباب حنطة عن الجريب (حوالي ثلث فدان) ؛ و كانت
تشمل أحيانا الزيت و العسل و بعض أنواع من الأطعمة؛ و أحيانا كان الخراج يجمع نقدا ؛ وكان يراعى
قوة إنتاج الأرض من ضعفه ؛ و حالة فيضان النيل لارتباطه بزراعة الأرض و كانت هذه الضريبة يتحملها
الأقباط وحدهم لان العرب انصرفوا عن ملكية الأرض ؛ لأن الخليفة عمر بن الخطاب أمر العرب بالابتعاد
عن الزراعة حتى يتفرغوا لعمليات الفتوحات الإسلامية.

الجيش :-

و كانت القبائل العربية التي استوطنت مصر بعد الفتح مباشرة ما هي إلا كتائب عسكرية في
جيش عمرو بن العاص ، و كان أبناؤها هم جنود الجيش الإسلامي، و امتازوا بالحماسة و الشجاعة و حب
الجهاد في سبيل الله ؛ و منع الخليفة عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" الجنود المسلمين و غيرها من

الولايات المفتوحة بالاشتغال و العمل في أعمال الزراعة و حرم عليهم امتلاك الأرض ، حتى لا يركنوا إلى النعيم و الترف ؛ و حتى لا تبهرهم ثروات البلاد الهائلة ؛ ولذلك كتب عمر بن الخطاب إلى أمراء البلاد و الأجناد من المسلمين بأن يمنعوا الجند من الزرع و المزارعة و أن رزق عيالهم سائل و عطاءهم قائم لا ينقص منه شيئاً.

و لذلك كان أمير الجيش يراقب أفراد جيشه و لا يسمح لهم بمزاولة أعمال التجارة أو الزراعة أو أعمال أخرى تشغلهم عن الجهاد و تنفيذاً لأوامر الخليفة عمر بن الخطاب؛ الأمر الذي جعل الجهاد همهم الأكبر ، و بالتالي قرب إليهم قلوب الشعب المصرى لانهم لم يتدخلوا في شئونهم ؛ و لذلك نجد الوالي عمرو بن العاص ينفذ أوامر الخليفة عمر بن الخطاب بإنشاء ديوان الجند ليدون الجنود فيه أسماءهم و أسماء أولادهم و أسراتهم ، و ذلك لتقدير العطاء حسب حالة كل جندي الاجتماعية؛ ثم دون الوالي عبد العزيز بن مروان تدوينا ثانيا للجنود العرب ؛ ثم الوالي قره بن شريك صاحب التدوين الثالث ، ثم نشر بن صفوان (١٠١ - ١٠٢هـ)، صاحب تدوين الجند الرابع في مصر ؛ و بلغ عدد أهل الديوان زمن معاوية بن أبي سفيان (٤٠ - ٦٠هـ) أربعين ألفا ، كما جعل معاوية على كل قبيلة عربية رجلا ن يتفقد القبيلة كل صباح و يسأل أهلها هل ولد فيكم مولود؟ أو حل عليكم ضيف ، فكان يكتب ما يذكرون له ثم يقوم بتسجيل أسماءهم بالديوان.

وهناك طائفة المطوعة التي ألحقت بالجيش العربي و هم من أهل البلاد و الذين كانوا بالجيش المصري عندما فتح العرب مصر وكانت لهم أدوار ثانوية و لا يشتركون اشتراكا فعليا في أعمال الجيش العربي ، و كان عملهم مقصورا على مصر فقط ؛ و لم يكن لهم عطاء و لم يثبتوا في الديوان ، إنما كانت تصرف أعطياتهم من الصدقات و من احباس السبيل (و هي الأوقاف التي توقف في سبيل الله) .

و أخيرا أصبحت مصر طليعة التوسع العربي في بلاد المغرب، و دعامتها العسكرية إلى أن نجح عقبة بن نافع في تأسيس القيروان سنة ٥٠ هـ ؛ ثم بسط موسى بن نصير بسلطانه على بلاد المغرب و على الرغم من ذلك ظلت ولاية إفريقية لم تنفصل عن مصر بل كانت تتبعها من الناحية السياسية و العسكرية ، اما بلاد النوبية فنظر إليها القادة العرب على أنها منطقة هامة لتأمين حدود مصر الجنوبية ، و ذلك منذ عهد عمرو بن العاص ، و عبد الله بن سعد الذي عقد معهم معاهدة البقط، و التي حددت المعاملة بين العرب و النوبيين ثم زحفت القبائل مملكة النوبة وعربتها ، و ايضا نجد بلاد البجة التي قطنت شرق صعيد مصر و عقد معهم عبد الله بن الحجاج صلحا نظم العلاقة بين العرب و البجة ، و ايضا دخلت قبائل البجة الإسلام .

الأسطول:-

لم يكن العرب لهم دراية بركوب البحر لانهم عاشوا بصحراء شبه الجزيرة العربية ، و كانوا دائما يخافون من ارتياد البحر ، و خير و دليل على ذلك أن الخليفة عمر بن الخطاب كان لا يسمح بالمعارك البحرية للمسلمين ، و بالتالي أمر عمرو بن العاص أن يجعل عاصمة مصر في مكان لا يحول بينه و بينهم بحرا ؛ لأنه يعلم أن أمة العرب في ذلك الوقت أمة برية و ليست بحرية ؛ و لذلك أمر المسلمين بتعليم أولادهم الرماية و السباحة و ركوب الخيل؛ نظرا لانه يعلم ما سوف يكون للعرب من حاجة إلى ركوب البحر و استخدم الأساطيل البحرية .

و عند طلب معاوية بن أبي سفيان من الخليفة عمر بن الخطاب أن يسمح في غزو الروم عن طريق البحر ، رفض عمر بن الخطاب ؛ و لكن في عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣ - ٣٥هـ) جهز العرب أسطولا يحمى بلادهم الساحلية ، و ساهم الأقباط في بناء هذه الأساطيل ؛ بحيث لم تأت سنة ٣٣ هـ حتى امتلك العرب أسطولا ضخما استطاعوا أن يحطموا السيادة البيزنطية في البحر المتوسط و يستولوا على بعض جزره ؛ و في سنة ٣٤هـ أراد أسطول روماني مهاجمة سواحل مصر ، فخرج أسطول من مصر تحت قيادة عبد الله بن سعد ، و ارسل معاوية بن أبي سفيان من سواحل الشام أسطولا تحت قيادة بسر بن ارطاة للتعاون مع الأسطول المصري ؛ و تقابل الأسطولان مع الأسطول البيزنطي الذي كان تحت قيادة قنسطانز الثاني في قوتكس على ساحل لكيا بالقرب من سواحل آسيا الصغرى في معركة عرفت باسم

ذات الصوارى و ذلك لكثرة صوارى السفن، و في هذه المعركة ربط العرب المبين بعضها البعض بسفن الروم، و بذلك استطاعوا قتال الروم وجها لوجه مثل المعارك البرية ، وانتصر العرب على الروم في هذه المعركة، ووصفها المؤرخون بأنها اليرموك الثانية و يعتبر معاوية بن أبي سفيان أمير البحر الأول عند المسلمين ، أما امير البحر الثانى فهو وإلى مصر، عبد الله بن سعد ، فقد تمكن العرب من الاستيلاء على قبرص ، و تمكن معاوية أثناء ولايته على بلاد الشام أن يغزو مضيق القسطنطينية في سنة ٣٢هـ؛ و استخدم عبدالله بن سعد نور صناعة السفن المصرية ، كما أنشئت دور الصناعة السفن سنة ٥٤ هـ بجزيرة الروضة بالقرب من القسطنطينية .

الفصل الرابع

دور مصر في الحركات السياسية والدينية في

الدولة الإسلامية

ظهر دور مصر واضحا جليا في كثير من الأحداث السياسية و الدينية التي نشبت في الدولة الإسلامية سواء في عهد الخلفاء الراشدين أو الخلفاء الأمويين أو الخلفاء العباسيين ، و شاركت مصر بدور فعال إزاء هذه الحركات و اشتركت بدور إيجابي حيث أنها أصبحت احدى أركان العالم الإسلامي آنذاك تؤثر و تتأثر بما يدور في مركز الخلافة الإسلامية أو بما يحدث في أي اقليم من أقاليم العالم الإسلامي في ذلك الوقت ، لأن مضمرا لم تكن ولاية خاملة أو جامدة أو منعزلة بعيدا عن الخلافة و بلدانها ؛ و لكن موقعها الجغرافي العظيم في وسط بلدان الخلافة الإسلامية ، و إمكاناتها البشرية و الاقتصادية و تاريخها الطويل الحافل جعلها لي بيصوتها في كل حدث سياسي أو ديني ، و كان موقفها هاما في . في غاية التأثير مما له الأثر الهام في تبير مجرى الأحداث و تطوراتها كما سوف نري عند العرض للحركات السياسية و الدينية التي ظهرت في مقر الخلافة الإسلامية .

أولا : دور مصر في الفتنة الكبرى :-

بعدهما تولى الخلافة الإسلامية الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه ، و أنتخب للخلافة بعد موت عمر بن الخطاب سنة ٢٣ هـ ؛ و عرف عثمان بمنزلته الدينية العالية ؛ و ساري على سياسة سلفه في أعمال الفتوحات الإسلامية و غيرها ؛ ولم تمضي عدة سنوات على خلافة عثمان بن عفان ، حتى اتهمه بعض الناس بأمر خالفت سيرة أبي بكر و عمر و من قبلهما النبي عليه السلام و منها تفضيل

أقاربه من البيت الأموي في تولي المناصب و الولايات الإسلامية ؛ كما أتهم بأنه شيد دورا فخمة لأهله و أسرته بالمدينة ، و أنه استعمل أسلوب الترف و البذخ على العكس من أبي بكر و عمر بن الخطاب.

كما اتهم هؤلاء الخارجون على عثمان وواليه الوليد بن عقبة أنه صلى بالمسلمين صلاة الصبح أربع ركعات وهو سكران ثم قال للناس أن أردتم أن أزيدكم ركعة زدتم ؛ فلما بلغ ذلك عثمان تغاضى عنه؛ و أننا نستبعد هذا الحدث تماما ، حيث أنه مدلس و يتنافى مع طبيعة هذه المرحلة الزمنية للمسلمين ؛ و اعتبر بعض المؤرخين أن هذه الاتهامات التي كانت مقدمات الثورة ضد عثمان ترجع إلى العصبية القبلية و عودة إلى الجاهلية و صراع القبائل ضد قريش و زعامتها؛ و أتهموا عثمان بأنه خرج على سياسة الزهد و التقشف، و خرج أيضا على مبدأ الشورى الذي أتبعته دولة المدينة ؛ و هكذا بدا الانقسام في صفوف المسلمين و بدأت الفتنة تدب في الوحدة الإسلامية التي أرسى أركانها أبو بكر و عمر رضي الله عنهما .

و الأهم من ذلك ظهور تيار معادى للإسلام جاء من داخل الأمة الإسلامية نفسها ، من بعض الذين حقدوا على الإسلام و وحدة المسلمين ، و كان على راس هؤلاء شخص زعم أنه مخلصا ولكنه كان ساخطا و تظاهر بالإسلام و هو عبد الله بن سبأ و هو يهودي اصلا من اليمن ؛ و تنقل في الولايات الإسلامية و أخذ يثير الشكوك في خلافة عثمان و يتظاهر بالدعوة لعلي بن طالب في الحجاز ، و

الكوفة و البصرة و الشام فلم ينجح ؛ على الرغم من وجود ابي ذر الغفاري أحد الصحابة و معارضته لعثمان بن عفان و هو يريد ان يرجع عثمان إلى مسيرة السلف الصالح و ليس إرادته ضد الإسلام و المسلمين؛ فهناك فرق واضح بين الشخصين .

نزل عبد الله بن سبأ مصر فوجد انصارا و كانت نفوسهم غاضبة على عثمان بن عفان ؛ ومما زاد الأمر سوءا إن بعض الصحابة في مصر كانوا ضد عثمان بن عفان مثل محمد بن ابي بكر ، و محمد بن أبي حذيفة ، وعمار بن ياسر؛ و بدأ عبد الله بن سبأ ينشر سموم دعوته ضد عثمان و نجح إلى حد كبير في استمالة الناس إليه، لأن عبد الله بن سعد كان مشغولا في ذلك الوقت بمعركة ذات الصواري ضد البيزنطيين سنة ٥٣٤هـ؛ مما هيا لعبد الله بن سبأ أن يصول و يجول في مصر ، و نشر تعاليمه البغيضة التي منها مذهب الرجعة فكان يعجب ممن يقول برجوع عيسى و يكذب برجوع محمد عليه السلام ، وقد قال تعالى "أن الذي فرض عليك القرآن لارادك إلى معاد " ؛ ونادي بمذهب الوصاية و أن على بن ابي طالب وصى محمد عليه السلام؛ وأن على خاتم الاوصياء و أن على أحق بالخلافة من عثمان بن عفان لأنه وصى محمد ، ولابد من الوثوب على عثمان و ارجاع حق الخلافة إلى علي بن أبي طالب.

وعندما رجع وإلى مصر عبد الله بن سعد فقد رجع إلى المدينة لأن الخليفة عثمان دعا إلى مؤتمر يحضره كل ولاة المسلمين بالمدينة ؛ و ترك عبد الله بن سعد نائبا عنه في مصر عقبة بن عامر الجهني؛

و في ظل هذه الظروف اندلعت الثورة في مصر و اغتصب حكم مصر محمد بن أبي حذيفة و إعلان الثورة و العصيان على عثمان بن عفان، و طرد عقبة بن عامر نائب الوالي في مصر و لم يستطع عبد الله بن سعد أن يدخل مصر، و دعوا إلى خلع عثمان بن عفان من الخلافة ؛ علي الرغم أنه وجد شيعة لعثمان بمصر منهم معاوية بن خديج و خازجة بن حذافة و غيرهم.

و عندما أراد معاوية بن أبي سفيان أن ينقل مقر الخلافة من المدينة إلى دمشق حتى يظل عثمان بن عفان في مأمن و بالتالي تظل في بني أمية بدمشق و لكن عثمان رفض هذه الفكرة و ردها على معاوية؛ و قيل أن عثمان ارسل ابن أبي وقاص لمهادنة المسلمين في مصر ، و لكن أهل مصر بقيادة محمد بن حذيفة قابلوا سعدا مقابلة سيئة و اساءوا إليه و إلى عثمان بن عفان و ارتدد راجعا ..

و هنا دعا محمد بن حذيفة الناس للخروج إلى المدينة للتعبير عن ثورتهم ضد عثمان ؛ و أرسل وفدا مكونا من ستمائة رجل ، على رأسهم عبد الرحمن بن عديس البلوى ، و بشر بن كنانة ، و محمد بن أبي بكر ، و كان ذلك في موسم الحج سنة ٣٥ هـ ، و التقى هذا الوفد بوفد الكوفة و البصرة و بعد مناقشات كثيرة ، دخل الثوار على عثمان داره و قتلوه في ذي الحجة سنة ٣٥ هـ ، و يقال أن أول من وضع السيف على عثمان رئيس الوفد المصري؛ و كان يدافع عن عثمان مائة رجل صحابي ؛ و زعم الثوار أنه بمقتل عثمان انتهت الفتنة و لم يدركوا أنها بدأت .

ثانيا : دور مصر في النزاع بين علي و معاوية بن أبي سفيان :

من خلال مقتل الخليفة عثمان بن عفان و اتضح أن فمصر ولاية قوية و متميزة و تضم العديد من الأحزاب العربية و القبائل المختلفة في الأنساب و الآراء بالإضافة إلى شخصيات قوية قادرة أن تلعب دورا هاما على مسرح السياسة بالخلافة الإسلامية من خلال موقعها بمصر و نرى أن فتنة مقتل عثمان أكبر مصيبة منيت بها الأمة الإسلامية سنة ٣٥هـ، و بوبع علي بن أبي طالب بالخلافة بإجماع المسلمين ، إلا فئة قليلة كانت ترى ضرورة المطالبة بدم عثمان من الاتفاق على الخليفة؛ و ترأس هذا الفريق معاوية بن أبي سفيان وإلى الشام و ابن عم عثمان بن عفان .

قام علي بن أبي طالب بعزل ولاية عثمان من الولايات ، و إرسال ولاته إلى الأقاليم ؛ و بايعه جميع أهالي الأمصار و ولاتها ما عدا الشام و على رأسها معاوية بن أبي سفيان ؛ و بدا النزاع بين علي و معاوية، إلا أن معاوية استطاع أن يضم إلى صفه أكبر قادة العرب قوة و فكرا ومنهم عمرو بن العاص في نظير إعطائه مصر طعمة له إذا قدر له النصر على علي بن أبي طالب، وفي هذه الأثناء حدثت واقعة الجمل سنة ٣٦هـ و هي عندما خرج طلحة والزبير و معهما السيدة عائشة زوجة النبي عليه السلام على علي بن أبي طالب ، و اشتبكوا معه في معركة أطلق عليها اسم الجمل نسبة إلى الجمل الذي كانت تركبه السيدة عائشة و قد قتل من شدة - الرماح و النبال التي ملأت جسده فلم تظهر جثته لكثرة الأسهم

فيها " ! و كان ذلك سنة ٣٦هـ؛ و بعد انتصار على في هذه المعركة و قتل كل من طلحة و الزبير ابن العوام اتخذ علي بن أبي طالب الكوفة مقرا لخلافته منة ٣٦هـ .

أعلن محمد بن حذيفة ولاءه لعلي بن ابي طالب، و بدا يحارب القبائل العربية في مصر التابعة لعثمان بن عفان و كان زعيمها معاوية بن خديج و كانت هذه القبائل بصعيد مصر ، و حدثت معارك بين هذه القبائل (شيعة عثمان) و بين القبائل التي ناصرته محمد بن حذيفة (شيعة علي) بالصعيد في مدن البهنسا و الإسكندرية ما بين سنتي ٣٥ - ٣٦هـ ؛ و استطاعت شيعة عثمان أن ينتصر في اغلب المعارك التي دارت يارض مصر

و عندئذ رأى معاوية أن الهجوم احسن وسيلة له ، و خاصة أن قوات على أحاطت به من كل النواحي ؛ و لذلك آثر أن يستولى على مصر لأنها قوة كبرى بجانب بلاد الشام وقاد جيشا بنفسه سنة ٣٦هـ و دخل مصر و وصل بالقرب من الفسطاط في منطقة عين شمس فتصدى له محمد بن حذيفة ، و دارت مفاوضات بينهما على أثرها ، حصل على بعض الرهائن من محمد بن حذيفة و منهم من اشترك في قتل عثمان، و بعدما انسحب معاوية قام بقتل هذه الرهائن انتقاما لمقتل عثمان بن عفان ؛ بينما وقع اختيار على على قيس ابن سعد ليكون واليا على مصر و ذلك بعد مقتل محمد بن أبي حذيفة؛ ولكن سرعان ما قام بعزل قيس ابن سعد عندما علم أن معاوية حاول أن يقرب هذا الوالى إليه؛ و ولى مكانه

الأشتر النخعي الذي مات مسموما حين وصوله إلى ميناء القلزم ؛ و اتهم عمرو بن العاص أنه الذي سم الأشتر في كوب من العسل ؛ و يقال أن معاوية هو الذي أوعز لحاكم القلزم بدس السم للأشتر في نظير وعودا وعده بها.

ولى علي بن أبي طالب على مصر واليا محمد بن أبي بكر سنة ٣٧هـ ؛ و اضطهد شيعة عثمان بن عفان و ضرب ديارهم ثم سمح لهم بالنزوح من مصر و الحاق بمعاوية في بلاد الشام غير أن الأمور ببلاد الشام صارت في صالح معاوية ابن أبي سفيان حيث دارت معركة صفين سنة ٣٧هـ و انتهت بالتحكيم، و ذلك عندما رأى عمرو بن العاص أن جيش علي سوف ينتصر ، فأمر الجنود برفع المصاحف على أسنة الرماح، و النداء بتحكيم القران الكريم بدلا من القتال ؛ و تلك هي الحيلة بعدما كاد علي أن ينتصر على معاوية بن أبي سفيان و ينهي هذا الأمر ؛ مثل عمرو بن العاص معاوية بن أبي سفيان و مثل علي أبو موسى الأشعري للتحكيم بالعدل بين الطرفين ؛ و اتفق الحكمان على خلع الاثنين ، و قام أبو موسى بخلع علي أمام الناس ، ثم قام عمرو و ثبت معاوية لأنه ابن عم عثمان و أحق المسلمين بتولى الخلافة.

وهنا حدث انقسام آخر في صفوف علي بن أبي طالب ، فظهرت خدعة التحكيم ، و خرج جزء من جيش علي أطلقوا عليهم الخوارج لأنهم رفضوا التحكيم من الأصل ؛ و فريق آخر من جيش علي أثر

بعدم الحرب و لم يخرجوا معه للقتال ؛ و تقابل على مع الخوارج في معركة النهروان سنة ٣٨ هـ و قتل عددا منهم و لكن الخوارج اخرجوا ثلاثة رجال تقتل على و معاوية و عمرو ؛ و فشل هؤلاء إلا عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل على في رمضان سنة ٤٠ هـ .

و تبقى مصر عليها محمد بن أبي بكر كما ذكرنا سالفا ؛ و لذلك أرسل معاوية جيشا إلى مصر سنة ٣٨ هـ بقيادة عمرو بن العاص، و دخل مصر و تقابل مع جيش محمد بن أبي بكر بالقرب من الفسطاط و في مكان يسمى المسناة ، و دارت المعركة و تكبد الجيشان خسائر في الأرواح كثيرة جدا ؛ و أنتصر عمرو و دخل الفسطاط و معه أهل الشام ؛ ثم قبضوا على محمد بن أبي بكر و قتله معاوية بن خديج و عندئذ انتهى حكم الراشدين من مصر سنة ٣٨ هـ ، و تولاهما عمرو بن العاص طعمة له بعد عطاء و نفقة الجند.

ثالثا : موقف مصر من حركة عبد الله بن الزبير :

شخصية عبد الله بن الزبير فهو صحابي ابن الزبير بن العوام الصحابي الجليل ؛ اشترك مع والده في موقعة الجمل ؛ و خدم في صفوف جيش معاوية بن أبي سفيان؛ و عندما جمع معاوية البيعة لابنه يزيد من بعده بالخلافة عارض ذلك عبد الله بن الزبير و الحسين بن علي ، و عندما مات معاوية و جلس يزيد على عرش الخلافة (٦٠ - ٦٤ هـ)؛ فانتهت معارضة الحسين بن علي بمقتله في معركة كربلاء في

العاشر من محرم سنة ١١١هـ؛ و لذلك دعا الزبير لتفسيه بالخلافة منذ سنة ٦١هـ وبايعه أهل الحجاز ؛
 خاول يزيد القضاء عليه و لكنه فشل و مات دون ذلك ، و ولى الخلافة معاوية الثاني بن يزيد و لكنه
 اعتزل الخلافة وتركها ؛ وسرعان ما توفي معاوية الثاني ، حتي آلت إلى مروان بن عبد الحكم سنة ٦٤هـ
 ؛ و كان نطاق ابن الزبير قد اتسع و بلغت دعوته الشام و مصر و رحب المصريون بدعوته؛ و لكن
 مروان استطاع أن يخلص الشام من براثن عبد الله بن الزبير ، و قتل مروان عامل بن الزبير الضحاك بن
 قيس ؛ و لكن موت مروان بن الحكم سنة ٦٥ حالت دون القضاء عليه .

و عندما تولى الخلافة عبد الملك بن مروان (٦٥-٨٦ هـ) تغلب على العراق و على الحجاز ؛ و
 لكن مصر كانت تحت راية ابن الزبير و ساعده الخوارج في الاستيلاء على مصر ، و أرسل بن الزبير
 من قبله عبد الرحمن بن مجدم لتولى مصر ؛ و بايعه أهلها جميعا، و ذلك في شعبان سنة ٦٤هـ ؛ و لذلك
 حاول مروان بن الحكم أن يقضي على حركة ابن الزبير في مصر ولكنه فشل ، و لذلك هاجم مصر
 بجيش كبير و حارب بن مجدم والى مصر أمام مدينة الفسطاط ، و استمرت الحروب بين الفريقين حتى
 تم الصلح بين ابن مجدم و مروان بن الحكم سنة ٦٥هـ، و أمن مروان بن الحكم اهل مصر على أموالهم
 و أرواحهم في هذا الصلح ؛ و بذلك أصبحت مصر تابعة لمروان بن الحكم ، و ولى عليها ابنه عبد
 العزيز بن مروان (٦٥-٨٦ هـ) ؛ ثم نرى مصر تشارك في قتال عبد الله بن الزبير بالحجاز ؛ فقد أرسل

الوالي عبد العزيز بن مروان حملة بحرية بقيادة عبد الرحمن بن يخنس سنة ٧٢هـ للقضاء على ابن الزبير بالحجاز ؛ و قيل أن هذا القائد المصرى هو الذي قتل ابن الزبير في مكة.

رابعا : موقف مصر من زوال الخلافة الأموية:

في أواخر العهد الأموي ظهرت الدعوة العباسية و أعلنت على يد أبي مسلم الخراساني صاحب الفضل الأكبر في إظهار هذه الدعوة على مسرح العالم الإسلامي- آنذاك ؛ و في سنة ١٢٩هـ استولى العباسيون على خراسان و العراق ، و بايع ابو مسلم الخراساني أبا العباس السفاح في الكوفة سنة ١٣٢هـ ، و اجتمع له الناس جميعا و بايعوه ؛ ثم طارد الجيش العباسي الجيش الأموي الذي كان بقيادة مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، و أنتصر على الأمويين عند نهر الزاب سنة ١٣٢هـ، و لذلك فر مروان بن محمد إلى مصر ليحتمي بها و يجمع بني أمية حوله.

وصل مروان بن محمد مصر ، و لكنه وجد المصريين و القبائل العربية اليمنية قد ناصبته العدا، و ذلك لانتشار الدعوة العباسية بينهم، بل طردوا الوالي حنظلة بن ضيفوان من الفسطاط و اظهروا عدم الطاعة لبني أمية ، و لذلك آثر مروان أن يدخل مصر و يخضعها بالقوة ؛ و يجعلها له مأمنا و حماية ضد العباسيين و لكنه عندما وصل مصر وجد أن الدعوة العباسية توطت أركانها و عظم أمرها ؛

حتى أن بعض أفراد البيت الأموي مثل عمرو بن سهيل يجمع قومه ويثور ضد مروان بن محمد و نجح مروان في اخضاع الإسكندرية و بعض مناطق الصعيد ، و لكن الجيوش العباسية كانت تلاحقه .

وصل صالح بن علي العباسي على رأس جيش كبير إلى مصر في أعقاب مروان بن محمد سنة ١٣٢هـ؛ و لذلك أمر مروان بإحراق مدينة الفسطاط و بعض المدن في شرق الدلتا ، و إحراق المراكب و السفن بعدما عبر نهر النيل إلى مدينة الجيزة بالبر الغربي من النيل ؛ و يشترك أقباط مصر مع العرب ضد مروان بين محمد لأنهم كرهوا الأمويين و لأول مرة في تاريخ مصر يساهم القبط في الثورات الخاصة بالخلافة و الحكومات العربية الإسلامية في مصر .

و تمكن العباسيون من العبور إلى الضفة الغربية للنيل بعدة طرق ؛ و طاردوا مروان بن محمد ، و اتجه مروان نحو الصعيد جتي وصل بلدة بوضير (مركز الواسطى التابعة لمحافظة بني سويف) ؛ و التقى صالح بن علي و مروان بن محمد في معركة فاصلة في ذي الحجة سنة ١٣٢هـ؛ حيث أنتصر الجيش العباسي بقيادة صالح بن علي و قتل مروان بن محمد آخر خلفاء الدولة الأموية ، و بذلك انتهت دولة الأمويين ، وقامت الدولة العباسية ، و أصبحت مصر ولاية عباسية ؛ و احترم العباسيون أهالي مصر من الأقباط و العرب على السواء و أعطوا لهم مكافئات عظيمة على مساعداتهم لهم.

بناء مدينة العسكر :

ظلت مدينة القسطنطينية عاصمة مصر طوال عصر الولاة زمن الخلفاء الراشدين و الولاة زمن الأمويين ؛ و عندما جاء صالح بن على قائد الجيش العباسي سنة ١٣٢ هـ إلى مصر و قضى على الخلافة الأموية بمقتل مروان بن محمد في أبو صير ، فقد نزلت الجيوش العباسية شمال مدينة القسطنطينية و في شرقها ، و بهذه المنطقة تعرف بالحمراء القصوي و كانت صحراء جرداء ، و كان يسكنها الروم الذين صاحبوا جيش عمرو بن العاص عند فتح مصر سنة ٢٠ هـ ؛ و لذلك أمر صالح بن على ببناء مدينة لجنود في هذا المكان ، و وقع اختيار صالح بن على على موقع هذه المدينة سنة ١٣٣ هـ ؛ و كان حد هذه المدينة من الجنوب عند كوم الجارح حيث تمتد الآن إلى قناطر مجرى العيون ؛ و من الشمال إلى ميدان السيدة زينب حيث قناطر السباع إمام المشهد الزينبي، و من الغرب شارع السد و الديورة ، و من الشرق خط يمتد من جواد خانقاه سلار و سنجر الجاولي بشارع مارسينا إلى باب السيدة نفيسة ؛ و بنيت بالعسكر دار الإمارة و سكنها الولاة العباسيون ؛ و امتدت أبنية العسكر و القسطنطينية حتى أتصلتا المدينتان ببعضهما ؛ كذلك بنى بها الوالي الفضل بن صالح مسجد اجابتا سنة ١٦٩ هـ .

و تعتبر مدينة المعسكر ثاني عواصم مصر الإسلامية ، و هي كانت مقر الشرطة العليا و كانت تابعة لشرطة القسطنطينية ؛ و بعد فترة من بنائها أصبحت مدينة كبيرة مليئة بالأسواق و المحلات التجارية و

الدور الفخمة ؛ و ظلت مقر ولاية مصر طوال العصر العباسي حتى جاء احمد بن طولون سنة ٢٥٤هـ و حول مقر الإمارة إلى مدينة القطائع و لما أحرقت القطائع سنة ٢٩٢هـ ؛ رجع الولاية و أقاموا بدار الإمارة بمدينة العسكر ، حتى فتح جوهر الصقلي لمصر سنة ٢٥٨هـ، و بني مدينة القاهرة الفاطمية ، و أصبحت مقر الخلافة الفاطمية في مصر ؛ ويرجع سبب بناء العسكر هو أن مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين قد أحرق مدينة القسطنطين و قد يكون النيران التهمت دار الإمارة فيها ، و قد يكون صالح بن علي أبتعد عن أهالي القسطنطين لربما يكون منهم من يوالي الأمويين ، و يقال لشدة ازدحام القسطنطين فضل العباسيون السكني بعيدا عنها ؛ ثم شيد بالعسكر دار الإمارة بها ؛ ثم بني المسجد الجامع بالعسكر سنة ١٦٩هـ ؛ في أثناء ولاية الفضل بن صالح بن علي ؛ لأن من ظواهر اكتمال المدن الإسلامية المسجد الجامع .

واعتبر هذا الجامع ثاني مسجد جامع أقيم في مصر الإسلامية ، بعد جامع القسطنطين او جامع عمرو بن العاص ؛ وقد بقي علي حاله حتى ولي مصر عبد الله بن طاهر سنة ٢١٢هـ ؛ فقام بتجديده و زاد فيه و صار الناس يصلون فيه أيام الجمع حتى جاء احمد بن طولون و بني جامع القطائع ، فتركه الناس و صلوا بجامع أحمد بن طولون ؛ و ظل هذا المسجد موجودا إلى العصر الفاطمي .

خامسا : موقف العلويين و الأمويين في مصر من الخلافة العباسية:

عندما أعلنت الخلافة العباسية على مسرح الحياة السياسية شعر العلويون (و هم شيعة علي بن أبي طالب) و نظر العلويون للعباسيين بأنهم اغتصبوا الخلافة منهم ؛ و أعلنوا العصيان للخلفاء العباسيين ، ولم يهدءوا طوال العصر العباسي في كافة الولايات الإسلامية ، و ظهرت حركاتهم في مصر واضحة جلية ؛ وفي عهد الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦ - ١٥٨ هـ) ؛ جاء إلى مصر أحد العلويين و هو علي بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب و هو يدعو لأبيه المعروف بالنفس الزكية، و الذي أقام دعوته بخراسان ثم بمكة و المدينة ، و لكن العباسيين تمكنوا من قتل النفس الزكية ثم قتلوا أخاه إبراهيم أيضا على يد بن عيسى بن موسى في منطقة باخمري و عرف بشهيد باخمري سنة ١٤٥ هـ؛ و لكن علي بن محمد ، اختفى و مات بالعراق بعد أن أثارت دعوته أهالي مصر .

وقدم بعض العلويين إلى مصر فارين من اضطهاد العباسيين فمنهم السيدة نفيسة رضي الله عنها بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، و جاءت إلى مصر مع زوجها من المدينة المنورة إلى مصر هاربين من اضطهاد العباسيين لهم ، و كان زوجها إسحاق بن جعفر الصادق ؛ و توفيت في رمضان سنة ٢٠٨ هـ؛ و قبرها لا يزال من أهم مقابر آل البيت المشهورة بالقاهرة .

وفي الخلافة المتوكل على الله العباسي (٢٣٢- ٢٤٧هـ) كان يكره العلويين فأرسل إلى وإلى مصر إسحاق بن يحيى (٢٣٥- ٢٣٦هـ) وأمره فيه بإخراج شيعة علي بن أبي طالب من مصر، و تم إخراجهم من الفسطاط سنة ٢٣٦هـ ؛ و رحلوا إلى العراق ثم حولوا بعد ذلك إلى المدينة المنورة و من بقي من العلويين في مصر اختفى في بلاد الصعيد ؛ و تابع هذه السياسة الوالي يزيد بن عبد الله فاخرج كل من عثر عليه من العلويين و عامله بالشدّة و العنف إلى العراق ،ولما تولى الخلافة المنتصر بن المتوكل سنة ٢٤٧هـ أرسل إلى وإلى مصر يزيد بن عبد الله بالا يقبل علوي صنعته و لا يركب فرس ولا يسافر من الفسطاط إلى طرف من أطرافها ، و ان يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد ؛ و أن كانت بينه و بين أحد من الطالبين خصومة من سائر الناس قبل قول خصمه فيه و لم يطالب ببينة .

و في خلافة المستعين بالله العباس سنة ٢٤٨هـ ، الخرج الوالي على مصر يزيد بن عبد الله بعض العلويين و طردهم إلى العراق ؛ و عندما تولى الخلافة العباسية المعتر (٢٥٢ - ٢٥٥هـ) ثار في مدينة الإسكندرية جابر بن الوليد المدلجي سنة ٢٥٢هـ، و انفصل بالوجه البحرى و جبي من بلاده الخراج و عجز الولي يزيد بن عبد الله عن قمع هذه الحركة ، حتى أرسل الخليفة جيشا بقيادة مزاحم بن خاقان الذي أنتصر على جيش جابر بن الوليد و قضى على هذه الحركة ، وتولى مصر مزاحم بن خاقان سنة ٢٥٣هـ ، بعدما نجح في القضاء على جابر بن الوليد ، و من معه من العلويين .

قامت حركات علوية بصعيد مصر منها حركة بغا الأكبر وهو احمد بن إبراهيم بن عبد الله بن طباطبا سنة ٢٥٤هـ. ولكن حركته انتهت بالفشل ؛ ثم ظهر بغا الأصغر العلوي و اسمه احمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا ما بين الإسكندرية و برقة سنة ٢٥٥هـ ، ثم زحف نحو الصعيد ، و تفاقمت حركته و لكن احمد بن طولون هزمه و قضي عليه ؛ و أيضا ظهر بصعيد مصر ابن الصوفي العلوي سنة ٢٥٣هـ، ودخل مدينة إسنا سنة ٢٥٥هـ و عاث فيها الخراب والفساد ؛ و لما جات إليه جيوش ابن طولون ، هاجر إلى المدينة المنورة حيث انتهت حياته فيها.

أما عن الأمويين فظهروا كارهين للخلافة العباسية التي قامت على أنقاض دولتهم ، ففي عهد الخليفة المهدي (١٥٨ - ١٦٩ هـ) وفي ولاية ابراهيم بن صالح (١٦٥ - ١٦٧ هـ) خرج دحية بن مصعب بن الأصبع بن عبد العزيز بن مروان بصعيد مصر و جمع حوله القبائل الأموية ، و انضمت إليه معظم قبائل الصعيد، وكاد ينفصل بالصعيد ، ولذلك لم علم الخليفة المهدي بذلك عزل و والى مصر ابراهيم بن صالح ؛ و ولي مكانه موسى بن مصعب (١٦٧ - ١٦٨ هـ) ؛ والذي لم يتمكن من عمل شي ضد دحية لأنه قتل في الحوف على اثر ثورة ضده ؛ وتولي عدة ولاة حتى ولي مصر الفضل بن صالح بن علي سنة ١٦٩ هـ ، ، و هزم دحية جيشا ارسله له الفضل بن صالح بالوحدات ؛ ثم ارسل الوالي اليه جيشا تمكن من هزيمته وقتله سنة ١٦٩ هـ بعد ان قطعت راسه وارسلن الى الخليفة الهادي .

سادسا : دور مصر في النزاع بين الأمين و المأمون :

قام الخليفة هارون الرشيد في سنة ١٧٥ هـ بتولية العهد بالخلافة لابنه الأمين من بعده ، و ذلك بتأثير زوجته زبيدة لأنها من اصل عربي و جدها أبو جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني (١٣٦ - ١٥٨ هـ) ؛ و كان الأمين يمثل العنصر العربي في الخلافة آنذاك ؛ ثم عهد هارون الرشيد بالخلافة لابنه المأمون بعد الأمين ؛ و كان المأمون يمثل الحزب الفارسي للخلافة لأن أمه كانت فارسية ؛ و افرد هارون لابنه عبد الله المأمون حكم بلاد المشرق الإسلامي أي ما يلي بغداد من ناحية الشرق؛ . فيما في ذلك خراسان ؛ و جعل ولاية الغرب لابنه الأمين أي بلاد العراق و الشام و مصر و بلاد المغرب الإسلامي.

و لكن الأمين اظهر منذ توليه للخلافة عدم رغبته في تنفيذ عهد أبيه هارون الرشيد في تولية المأمون بعده ؛ فخلع المأمون من ولاية العهد و بايع لابنه موسى ، و من هنا بدأت مشكلة النزاع بين الأخوين ؛ و بدأت رحى الحرب بينهما منذ سنة ١٩٥ هـ ؛ و مثلت فترة خلافة الأمين (١٩٣ - ١٩٨ هـ) عهد فوضى و اضطرابات، في كافة أرجاء الدولة الإسلامية ، و استغلت الأحزاب المعارضة الخلافة العباسية بصفة عامة فرصة هذا النزاع بين الأخوين فقامت ثورات من جانب العربيين واخري من جانب الامويين ، وظهرت هذه الثورات بمصر فتحزب فريق من القبائل العربية للأمين ، و فريق آخر للمأمون ،

حتى استطاعت بعض الشخصيات الانفصال بمصر مؤقتا ؛ و استطاع بعض الأندلسيين أن يؤسسوا شبه إمارة مستقلة عن الخلافة العباسية في الإسكندرية ؛ و انعزلت مصر عن الخلافة خلال هذه الفترة.

ودليل القلق و الاضطرابات عندما مر الرسل و معهم خراج مصر خلال عهد الخليفة الأمين ،

وعند مدينة الرملة وثب أهلها عليهم و اخذوها بالقوة كما ثارت القبائل العربية بمنطقة " الحوف.سنة ١٩٤ هـ ، و امتنعوا عن دفع الخراج لوالى مصر حاتم بن هرثمة و لكنه أرسل إليهم جيشا تمكن من هزيمتهم ؛ و عندما علم أهل مصر بنبا خلع الأمين للمأمون من الخلافة ؛ تزعم حركة المعارضة رجل من العرب يسمى السري بن الحكم في مصر و اخذ يدعو أهل مصر بضرورة خلع الأمين ؛ و أعلن خلع الأمين في مصر سنة ١٩٦ هـ و تاز جند مصر على الوالى جابر بن الأشعث و أخرجه من مصر ثم اقرؤا واليا جديدا من قبل المأمون و هو عباد بن مجد

و ثار أهل الحوف بقيادة ربيعة بن قيس محتجين على خلع الأمين و كانت قبائل قيس كلها ؛ و اروا إلى الفسطاط لخلع الوالى عباد بن محمد ، و حدث قتال حول الفسطاط سنة ١٩٧ هـ ؛ و لكنها قفلوا راجعين إلى الحوف دون أن ينفذوا غرضهم ؛ ولكن الوالى عباد بن محمد أرسل لهم عبد العزيز الجردي في منطقة الحوف و حاربهم و لكنه أنهزم ورجع مرة أخرى .

ولكن عبد العزيز الجردى نراه يعلن نفسه، واليا على مصر السفلى ؛ و يتبع غرضه الشخصي و يتنكر لوالى مصر عباد بن محمد بل بعث عماله لجباية الخراج مصر السفلي و لذلك، ترى عباد ينتدب السرى بن الحكم لمحاربة أهل الحوف سنة ١٩٨ هـ الذين هاجموا الفسطاط يريدون الاستيلاء عليها و حدث قتال بين الفريقين حول الفسطاط ، و لكن الأخبار قدمت إلى مصر بخبر بمقتل الأمين سنة ١٩٨ هـ فتفرق الناس و رجع كل إلى مكانه ؛ وعزل الخليفة المأمون عباد و عين على مصر الوالي المطلب بن عبد الله الخزاعي في صفر سنة ١٩٨ هـ .

وفي تلك الأثناء ينفرد عبد العزيز الجردى بالحوف ؛ و أيضا يعلن السرى بن الحكم أنه واليا على مصر بانتخاب سائر الجند له سنة ٢٠٠ هـ ، بل اخرج الوالي المطلب بن عبد الله الخزاعي من مصر وطرده ؛ و استولى الجردى على شرق الدلتا ؛ و استولى السرى بن الحكم على الصعيد، بجانب الفسطاط ؛ ونجد قبيلتا لحم و خدام تتفرد بحكم غرب الدلتا؛ و أيضا خلال هذه الأحداث وصل أهل الربط المطرودين من الأندلس على يد حاكمها الحكم بن هشام سنة ١٩٨ هـ ، فجاءوا برجالهم ونساءهم و أطفالهم وهم حوالي خمسة عشر ألف شخص ، و احتلوا الإسكندرية و حكموها من أنفسهم سنة ٢٠٠ هـ ، و ولوا مكانه رجل يعرف بالكناني و ظلت الإسكندرية تحت نفوذ الأندلسيين .

و إزاء هذه الفوضى في مصر، خضع الخليفة المأمون للأمر الواقع ؛ و ولي السرى بن الحكم على مصر سنة ٢٠١ هـ ؛ و أرسل أيضا إلى السري يأمره بأخذ البيعة بالخلافة من بعده لأحد العلويين و هو على الرضا ؛ و حيث الانقسام بين العرب في مصر فمنهم وافق على البيعة لعلى الرضا ، ومنهم من اعترض و عارض ذلك و على راس المعارضين عبد العزيز الجردى سنة ٢٠٢ هـ ؛ و لكن انتهت هذه الفتة بموت على الرضا سنة ٢٠٣ هـ ؛ و قتل عبد العزيز الجردى و هو يحاصر الأندلسيين بالإسكندرية سنة ٢٠٥ هـ ثم مات السرى بن الحكم بعده بثلاث شهور و نجد النزاع ينتقل من الآباء إلى الأبناء ؛ فترى نصر بن السري بن الحكم يحكم الفسطاط و الصعيد و غربي الدلتا ؛ و كان بيد علي بن عبد العزيز الجردى " شرق الدلتا ؛ و في سنة ٢٠٦ هـ مات نصر بن السري ، و تولى مكانه أخوه عبيد الله بن السري و بائعة الجند بولاية مصر سنة ٢٠٦ هـ ؛ و حيث صلح بينه و بين على بن الجردى ولم يتعرض كل منهما للآخر .

و حاول الخليفة المأمون القضاء على الفوضى في مصر فأرسل واليا من قبله لتولى مصر و لكن عبيد الله بن السري طرده و أخرجه من مصر نظرا لقوته ؛ و لذلك آثر المأمون السلامة و اقر عبيد الله بن السري على مصر ، و الجردى على شرق الدلتا ، و ذلك حتى يتفرغ لهما ؛ و لكن في سنة ٢٠٩ هـ ، اندلع النزاع المرتقب بين ابن السري و ابن الجردى و وقعت حروب كثيرة بينهما ؛ و تمكن ابن السري من

الاستيلاء على تنيس مقر ولاية الجردى و هرب لىبن الجردى إلى العريش في ربيع الأول سنة ٢٠٩ هـ؛ و رجع إبن الجردى يريد قتال ابن السرى و دارت عدة معارك ؛ و بينما هم كذلك، حتى جاء الجيش العباسى بقيادة القائد عبد الله طاهر بن الحسين ؛ و هنا أنضم له الجردى ، ثم حاصر القسطنطين و بها ابن السرى و حدث قتال شديد و قتل عدد كبير من رجال مصر؛ و لكن حدث صلح و خضع ابن السرى لعبد الله بن طاهر و الى المأمون سنة ٢١١ هـ ؛ ثم أرسله إلى المأمون في بغداد .

و تفرغ عبد الله بن طاهر بن الحسين لقتال الأندلسيين بعدما قضى على ابن السرى و ابن الجردى ؛ فسار بجيشه نحو الإسكندرية في سنة ٢١٢ هـ ، و حاصر أهلها الذين طلبوا منه الأمان؛ و صالحهم و أمنهم، على أن يتركوا الإسكندرية ؛ فخرجوا منها ، و احتلوا جزيرة كريت تحت زعامة رجل منهم يسمى أبو حفص عمر بن عيسى ، و وظل بها ردحا من الزمن بلغ حوالي قرنا و نصف، حتى استعادها البيزنطيون من هولاء المسلمين.

سابعا : دور مصر في المحنة بالقول بخلق القرآن :

و ظهرت مسألة خلق القرآن على أيدي المعتزلة الذين ظهروا بتعاليمهم بالعراق ؛ و هي مبنية على أكبر أصل من أصول المعتزلة و هي عقيدة التوحيد و عدم تعدد صفات المولى عز و جل ؛ فقد ذهب المعتزلة بأن القرآن الكريم حادث مخلوق نزل في ظروف معينة و ليس أزليا ؛ و اظهر المعتزلة القول

بخلق القرآن الكريم لأن صفة الكلام في نظرهم منفية عن الله عز و جل ، ولا يمكن اعتبار القرآن كلام الله إلا على التأويل ، هذا هو رأي المعتزلة في القول بأن بالقرآن مخلوق و ليس أزليا .

وظلت الفترة ما بين (٢١٨ - ٢٣٤ هـ) هي فترة المسألة القرآنية التي ركز فيها المعتزلة فكرهم وآراءهم في هذه الناحية؛ ووافق الخليفة المأمون على القول بخلق القرآن الكريم، و حمل الناس عليه في سنة ٢١٨ هـ ، و طلب من واليه إسحاق بن إبراهيم (والى بغداد) أن يمتحن الناس بالعراق و أن يعاقب من لا يقر بخلق " القرآن " ؛ و مات المأمون و واصل هذه المسيرة الخليفة المعتصم (٢٢٧-٢١٨ هـ) ، ثم الخليفة الواثق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ) ؛ و عنب هؤلاء الخلفاء الثلاثة من لا يعترف بخلق القرآن حتى نال العقاب الإمام أحمد بن حنبل ، و قتل كثير من الناس ؛ و عارض كثير من المسلمين و العلماء مسألة أن القرآن مخلوق و عارضوا هؤلاء الخلفاء ؛ و امتدت المحنة إلى معظم الولايات الإسلامية ، و كان . يعاقب كل من لا يقر بخلق القرآن.

أما عن مصر و موقفها في هذه المحنة الأليمة ، فظهرت أثناء ولاية كيدر بن نصر على مصر (٢١٧-٢١٩ هـ) ، و طلب منه المعتصم أن يمتحن الناس أجمعين و خاصة الفقهاء و العلماء و رجال الدين و القضاة و غيرهم ، و من لا يعترف يخلق القرآن يعزل من وظيفته ؛ فوافق كثير من العلماء والفقهاء و القضاة في مصر على مسألة خلق القرآن، و لم يوافق إلا القليل من المصريين، و لكن في عهد الواثق

(٢٢٧ - ٢٣٢هـ) ورد منه كتاب إلى قاضي مصر محمد بن أبي الليث الخوارزمي بامتحان كل المصريين

المسلمين في هذه المسألة ؛ و هنا. عارض المصريون مسألة خلق القرآن ، و اقرؤا أنه أزلّي و ليس مخلوق

؛ فقبضوا على معظم الناس و ملأوا السجون في مصر.

و كتب قاض مصر محمد بن ابي الليث على أبواب المساجد في مصر " لا اله إلا الله رب

القران المخلوق " و جرب كثير من أهل مصر إزاء هذه الفتنة ، و قد مرتب ذو النون الأحميمي من مصر

و لكنه وقع في قبضة القاضي المصري ، و على اثر التعذيب اقر بخلق القرآن ؛ و قد امتنع عن القول

بخلق القرآن أبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطي صاحب الإمام الشافعي ، و حمل إلى بغداد و مصمم

على كلامه و مات و هو في السجن بالعراق منة ٢٣١ هـ ؛ و استعمل الولاية و القضاة التعذيب في السجن

في مصر إزاء هذه المحنة.

و في سنة ٢٣٤هـ و كان على الخلافة المتوكل على الله ، و لما وجد هذه المحنة قد طال أمدها

أرسل كتابا إلى والي مصر يأمره فيه بترك الجدل في القرآن الكريم و إبطال هذه المحنة ؛ و عم هذا القرار

جميع العالم الإسلامي؛ و عم الفرح كافة بلدان الإسلام و عظم المسلمون شان الخليفة المتوكل و اعتبروه

من اعظم خلفاء المسلمين ، لأنه حقن الدماء و أنقذ المسلمين من الاضطهاد و التعذيب و أعاد الأمن و

الطمأنينة إلى قلوب الناس.

الفضل الخامس

حضارة مصر في عصر الولاة

فتح العرب مصر لنشر الديانة الإسلامية الغراء ، و كانوا على يقين أنهم أمام شعوب عرف الحضارة و الاستقرار و الرقي ملى نسبت آلاف السنين ؛ فوجدوا أنفسهم في مصر أمام شعب عريق فشقشتم فتبادلوا معه الصالات في احترام تام ، و لم يتعرضوا ديانتته و تقاليدته ، و استوعبوا حضارته و استفادوا منها في تأسيس حضارة جديدة ، عرفت باسم الحضارة الإسلامية و هي أعظم ما عرفته البشرية خلال العصور الوسطى؛ ومنذ الفتح تقدمت الحضارة الإسلامية في مصر وعم الأمن و التقدم وازدهار شعبها ، و اعتبرت مصر أن المسلمين منقذين من جور و تعسف البيزنطيين، و بذل ولاية مصر قسارى جهدهم في إصلاحات مرافق الزراعة و الجسور و الطرق و التي عادت على أهلها بالخير و اليمن ، و لكثرة خيرات مصر قال عنها عمرو بن العاص "ولاية مصر جامعة تعدل الخلافة"؛ وقد وصفها عمرو بن العاصن لعمر بن الخطاب وصفا رائعا و ذكر له نيلها وخيرها و ثمارها ورجالها.

(١) الزراعة:-

ساهم قرار الخليفة المعتصم سنة ٢١٨هـ و الخاص بإسقاط العرب من الديوان و حرمانهم من العطاء في تحول الحياة الاقتصادية و ذلك بمشاركة العرب المصريين في أعمال الزراعة و كافة الحرف الأخرى ، بالإضافة إلى الاندماج بين المصريين و العرب ؛ كما نجد بعض الولاة و الخلفاء يشجعون العرب بالاشتغال في مهنة الزراعة ، فمنهم الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك يأمر قبائل قيس بالاشتغال بالزراعة

في مصر ، ولذلك قد أشارت أوراق البردي العربية إلى امتلاك العرب بالصعيد الأراضي و الاشتغال
بالزراعة ..

و اشتغل بعض العرب من قبائل قريش بصعيد مصر و الذين قطنوا منطقة الأشمونين بالزراعة و
زرعوا الحبوب في منطقة منفلوط و التي اشتهرت بأطيب أنواع القمح، و نجد في خلال العصر الأموي ،
استأجر العرب الضياع و الأراضي الزراعية بجنوب مصر حتى في بلاد النوبة و قاموا بزراعتها ، وكانوا
يؤدون خراجها إلى ملك النوبة؛ و في عهد الخليفة المأمون العباسي (١٩٦ - ٢١٨هـ) اشترى العرب
الأراضي و الضياع من أهالي النوبة و قاموا بزراعتها ، حتى أن ملك النوبة احتج على ذلك و قدم شكوى
إلى الخليفة المأمون الذي حقق في هذا الأمر ، و لما اقر أهالي النوبة أنهم أحرار مثل العرب تماما ، فقد
حكم الخليفة المأمون بصحة عقود البيع بين النوبة والعرب.

وزرع المصريون و العرب معا النطرون بالبهنسا و بلدان الوجه القبلى و قد حقق العرب ثروة
عظيمة من جراء اشتغالهم بالزراعة و ترك العرب الفتن و القلاقل و أمور السلطان، و قام العرب بامتلاب
الضياع و زراعتها بمنطقة الأشمونين و البهنسا بالصعيد ، وكان يقوم أحد الأقباط بالإشراف عليه؛ و ممن
امتلكوا الضياع من العرب محمد بن هارون و جعفر بن أحمد بن سلامة ؛ و احمد بن جعفر ؛ و زرع

العرب أيضا القطن التي قامت عليه صناعة المنسوجات القطنية ، و الفواكه و الكروم و الزيتون، و النخيل و غابات الأشجار الاستفادة بخشبها ؛ لبناء السفن و المنازل و البيوت .

كما راجت زراعة القمح و الكتان في العصر الإسلامي بمدن الآشموين و زراعة الشعير و البصل و العدس و البرسيم و الفول والجلبان ، وكثيرا ما استخدم المزارعون من العرب الأقباط الري الصناعي في الزراعة مثل السواقي و الآبار و العيون وذلك خلال فصل الشتاء؛ و شاعت زراعة القمح و الكيزان بمدينة طما بمحافظة سوهاج الآن خلال عصر الولاية و الكتان بالفيوم ، واسوان التي اشتهرت بقصب السكر كما زرع محصول النيلة التي تستخدم في الأصباغ .

و من أهم مزايا الزراعة في مصر أنها كانت تحقق الاكتفاء الساتي للسكان ، بل كانت تمد الحرمين الشريفين بالغلل و الحبوب و توسع عني سكان الحجاز؛ و من كان فضل مصر في الزراعة، أن الإمام الشافعي كان يفضل محصول قصب السكر و قال : لولا قصب السكر ما عشت بمصر " و ظلت طرق الزراعة في مصر موروثه عن الفراعنة و ان كانت تقدمت في عصر الرومان الا انها كما حتى العصر الحديث و اهتم العرب بزراعة القلقانس و السمسم و البطيخ و اللوبيا والكروم والتين والتفاح و التوت والخوخ و القطن و القصب خلال فترة الصيف .

واهتم العرب في مصر بتحسين الجسور و الطرق و مشروعات الري ، و ذلك لتحسين الزراعة و ظهر ذلك منذ عصر عمرو بن العاص الذي بنى مقياس للنيل عند مشينة أسون و دندرة من بلدان صعيد مصر، كما رويت معظم أراضي مصر و الصعيد بالري الي يسمى ري الحياض و بنى معاوية بن أبي سفيان مقياس لنيل عند مدينة انصنا بالصعيد : و ظل هذا المقياس في مصر إلى عهد المماليك ، و كان وقت الفيضان يطغى النيل على الأراضي الزراعية لدرجة أن السكان في أسوان اضطروا لبناء مساكنهم على التلال العالية؛ و كانوا يتقلون بين القري و البلدان بواسطة المراكب، و أهتم العرب بالصعيد أيضا باستصلاح الأراضي الصحراوية و البور و توسيع رقعة الزراعة .

و اهتم انعرب في مصر بتربية المواشي و خاصة الخيول التي هي عدة المسلمين حيث قال الله تعالى " و اعدوا لهم ما استطعتم من قوة و من رباط الخيل ترهبون به عدو الله و عدوكم " و كان العرب موسم في مصر يرعون فيه الخيول و يعملون على تربيتها و كانوا يرعون في أماكن حول الفسطاط بالدلتا و الصعيد ؛ كما دربوا خيولهم في ضياع واسعة خصصت لها و كانت مدينة الاشمونيين نزهة الخيل و الدواب والبغال ، و ربي العرب أيضا الجمال التي استغلوها في نقل التجارة و الحجاج إلى منطقة عيذاب على البحر الأحمر ؛ كما ستختموا الجمال لنقل المؤن بين الفيوم و الواحات .

وقام أهالي الصعيد بتربية المواشي و أشارت أوراق البردي العربية إلى أنها كانت تجبي الضرائب على المواشي في الأسواق و على المراعي في بلاد الاشمونين و كان ذلك خلال القرن الثالث الهجري ؛ و أيضا أعتى العرب بتربية الأغنام في بلاد البهنسا والاشمونين ، و أستخدموا الأصواف في صناعة الملايات و الشيلان و الطواقي و كانوا يبيعونها في الفسطاط؛ كما أن الولاة العرب اهتموا بطرق الزراعة و الري و اهتموا بالجسور و حفر الترغ وبناء القناطر وكان يقوم بتلك العمل صيفا وشتاء حوالي ١٢٠ ألف عامل مصر من قبل الولاة .

٢- الصناعات

مثلت الصناعي في مصر في عهد الولاة دعامة من أهم الدعامات الاقتصادية للبلاد ، و كانت معظم هذا الصناعات يقوم بها مصر من الأقباط و العرب على السواء خلال القرن الثالث الهجري ؛و قبل هذا التاريخ كان يقوم بها الأقباط ، ولكن بعد اندماج العرب معهم شاركوا الأقباط في العمل بهذه الصناعات؛ و مما زاد من تقدم الصناعات في مصر هو اهتمام الدولة العباسية بالصناعة و أوامرهم إلى الولاة في الأقاليم بالعمل على الاهتمام بالرقى بهذه الصناعات ، و برع المصريون في كافة صنوف الصناعات خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين وانتشرت صناعتهم معظم البلدان الداخلية والخارجية .

فتقدمت صناعة النسيج وخاصة في صعيد مصر والتي شاركت فيه القبائل العربية ،وكانت المصانع الالهية منتشرة في كافة مدن الصعيد ، بالاضافة الى دور الصناعات التي انشأتها الحكومات المتعاقبة ، وبدأت كل مدينة تتميز بصناعاتها المختلفة عن المدن الاخرى في مصر ، فاشتهرت مدينة الاشمونين بانتاج المنسوجات وعمل الثياب التي كانت تصدرها الى مدينة الفسطاط وتباع بأسواقها .

واشتهرت مدينة الفيوم بصناعات من أنسجة الصوف و التي كانت عليها كتابات و رسوم هندسية في زخارف و كتب عليها اسم الخليفة و اسم الوزير، و اشتهرت مشينة أسيوط بإنتاج المنسوجات الكتابية والصوفية و أنتجت أسيوط النسيج الدبيقة الذي كان يصنع بقرية دبيق (تابعة لدمايط) ؛ كما عملت الثياب الخفيفة ، الثقيلة و الدقيقة واستعملت الكتابات على الفرش و الستور و كانت تزخرف أيضا بصور الحيوانات و كانت تصدر من أسيوط إلى خارج مصر ، و أنتجت نرع من الفرش القرمزية التي تشبه الفرش الأرمينية من حيث الجودة و دقة الصناعة.

و من أهم مراكز النسيج في معمل مدينة أخميم و التي اشتهرت بصناعة المنسوجات في العصر الفرعوني ، حتى احتلت مركز الصدارة في هذه الصناعة خلال العصور الوسطى ، حيث تنها كانت تصنع كسوة الكعبة الشريفة ، و صنع بأخميم المصنوعات الكتانية انت الى المشجرة ، و التي تجمع بين الألوان السوداء والبيضاء ، و بلغ ثمن الثوب من صناعة أخميم حوالي عشرين دينار؛ و صنع في اخميم

المنسوجات الكتانية والصوفية و صنعت بها بملابس الرجال و النساء و الطواقي و الملاءات و الفوط، كما صنعت الأقمشة الحريرية التي اشتهرت بها منذ عهد البطالمة حتى يومنا هذا .

ومدينة قوص (تابعة لمحافظة قنا الآن) اشتهرت بصناعة المنسوجات الكتانية و القطنية و الحريرية وكانت تباع في حوانيت المدينة ؛ كما كانت هذه الحوانيت متراسة بجانب بعضها البعض و بجانب حوانيت الصباغين ؛ و مدينة أسوان راجت بها صناعة الجباب من الصوف و القطن و صنعت بها الفوط و الملاءات ،وجاءت صناعة النسيج المتنوعة في مدينتي البهنسا و يوسن التابعتين لمحافظة بنى سويف الآن و اشتهرت يوسن بصناعة أنواع راقية من المناديل و صنعت الأكسية الصوفية بمدينة القيس ، و صنعت ثياب الخليفة معاوية بن أبي سفيان بمدينة القيس لأنها اشتهرت بالجودة و الرقة، و صنعت بالمدينة أيضا الستور و المضارب و كان دخلها سنة ٢٢٦هـ حوالي عشرة آلاف دينار و كانت ترسل للوالي.

وراجت صناعة النسيج بمدينة طما (تابعة لمحافظة سوهاج) فاشتهرت بالصناعات الصوفية الرقيقة و أيضا: بلدة درنكة تابعة لمحافظة أسيوط كانت بها الصناعات الصوفية ، و صنعت العمام من الكتان في بلدة سمسطا (بنى سويف) ؛ و كانت هذه الصناعات بمختلف أشكانها تطرح بأسواق أخميم و الجيزة ؛ و اشتهرت بصناعة النسيج بلدة بو صير (بنى سويف) و اهناسيا و أنتجت المنسوجات الصوفية ؛ كما

عثر بمدينة أخميم على ثوب من الحرير مكتوب عليه اسم الخليفة مروان بن محمد ، و راجت صناعة الخيش بالفيوم ، و ذلك لتوفر محصول الكتان بها .

و كان العرب يطلقون على المنسوجات المصرية التي تصلهم من مصر اسم " قباطي " لأن معظم النساجين كانوا من أقباط مصر ، و وضعوا رسوما و أشكالاً هندسية على المنسوجات بدلا من الصور الأدمية التي كرها العرب المسلمون و حرّمها الإسلام و انفردت مصر خلال عصر الولاة بأجود أنواع الصوف و الكتان التي لا يجيدها بلد في الدنيا إلا مصر ، و اشتهرت مدينة الإسكندرية بصباغة الثياب التي تحمل إلى كافة اقطار الأرض ؛ و كانت تصنع ثياب اطلق عليها "الشرب كل زنة درهم منها بدرهم فضة ؛ كما اشتهرت مدينة تيس بالثياب الفاخرة .

وكانت تيس طوال عهد الولاة في مصر تصدر كل منتجاتها للخارج ، و صنع بها أيضا ثياب صيفية نظف عندها أسم المنخل و في المسماة بالقصب و كان الملون منها يصنع في تيس ، اما الأبيض فكان يصنع بمدينة دمياط ؛ و اشتهرت من مدن الدلتا بصناعة النسيج بين شطا ودميرة وتوفة (بالقرب من دمياط) ؛ و كانت مصانع النسيج تنقسم الى قسمين في مصر مصانع أهلية ومصانع حكومية ؛ و كان يطلق عليها اسم الطراز بالنسبة للزخارف التي تنقش على الملابس ؛ ولكنها عممت على دور صناعة النسيج بمصر ، و كانت تكتب اسم دور الطراز على قطعة القماش ؛ و صنعت في مصر

منسوجات و ثياب خاصة بالخلفاء مثل الخليفة العباسي المبدى، و هارون رشيد ، و الأمين و المامون

و أيضا الخليفة المستعين العباسي سنة ٢٥٢هـ و للخليفة المعتز بالله سنة ٢٥٤ هـ .

وبالإضافة إلى ذلك فقد راجت صناعات الزجاج في البللور و الخزف و النقش على المعادن ،

وكانت هذه الصناعات متقدمة بمصر منذ العصر الفرعوني ، واشتهرت الإسكندرية بصناعة الزجاج خلال

العصر الإسلامي و صناعة الأواني و الأختام و أجاد المصريون الصناعات الخشبية و الحذ على الخشب

منذ القدم .

و اتخذت الطابع الإسلامي على الاثاث و الدواليب و الموائد ، وقد كتب عليها كتابات عربية؛

كما اشتهرت بتمر منذ فجر الإسلام بصناعة الورق من البردي الذي كان ينمو في الدلتا و الفيوم ؛ و

كانت تصنع الأوراق في بلدة بورة ؛ و في بلدة اخنو (محافظة دمياط) ، و كان يطلق عليها أسم قراطيس

مصر ؛ و لم تعطل الا في القرن الرابع الهجري بسبب صناعة الكاغد في سمر قند ؛ كانت مصر تحتكر

صناعة الورق في عصر الولاة ؛ و كان يقوم بها الأقباط إلا أنها أصبحت عامة بين المسلمين و القبط

خلان القرن الثالث الهجري .

و برع المصريون ايضا في صناعة المعمار و البناء ، فبنوا الحمامات و الاسواق و القصور في

مصر ، و شيّدوا الدور الفاخرة مثل الدار البيضاء التي شيدها عبد العزيز بن مروان والي مصر و

الدار الذهبية سنة ٦٧ هـ؛ و ظهر فن المعمار و البناء في مدينة الفسطاط و جامع عمرو بن العاص ، و مدينة العسكر ؛ و بنوا المقابر في المسجد ؛ و استخدموا كل الزخارف و المعمار القبطى في الابنية و في البيوت و القصور؛ كما ساهم المصريون في بناء المساجد بالشام و بيت المقدس ؛ و دمشق ، وغيرها.

أضف إلى ذلك از دهار صناعة السكر بمدينة ملوي بصعيد مصر و صنعت منها الحلوى التي كانت تباع بمدينة الفسطاط ، و ظهرت صناعة الصابون و زيت المصابيح ، و الصناعات الذهبية و النحاسية في بلاد الفيوم و الاشمونين ، كما ظهرت صناعة الحبال ؛ و حياكة الملابس و التي برع فيها المصريون و وضح ذلك في أوراق البردى العربية ؛ و ظهرت صناعات المغازل و الأنوال و أدوات الخشب المستخدمة في النسيج ، و صناعات الفنوس و المنجل و النورج و غيرها؛ و راجت صناعة اللحم و السلاسل و السروج و الكبابيش و آلات الحرب التي يحتاج إليها المحاربون .

كما ظهرت صناعة الفخار في مدينة الأقصر والمدن المجاورة لها، و ذكر ابن دقماق " ليس يعمل بديار مصر مثله و لا يقاربه " ؛ و راجت في قنا صناعة (البرام) و الأدوات الفخارية التي اشتهرت بجمالها و ودقتها ؛ و القدور التي تطهى فيها . الطعام ، و ظهرت صناعة المراوح من زعف النخيل و أحجار الطولعين و الكحل الأسود ، و صناعة دباغة الجلود و كان يطلق عليها صناعة الأنطاع.

٣ - التجارة

من أهم الأنشطة التي زاولها العرب من قبل الإسلام ، و تسلى بشى تاريخهم الطويل ، بعدما نزع العرب إلى مضر مع الإسلام سرعان ما اشتغلوا بها و مارسوها و انتقلوا في أسواق مصر المختلفة و عبر المدن في كافة أنحاء مصر ، و ساعدهم على ذلك استعمال الجمال في النقل و القوافل عبر الطرق الطويلة ؛ كسا ساعد نهر النيل على أعمال التجارة حيث اتصلت مدينة الإسكندرية بأسوان بواسطة هذا النهر ؛ فذكر المقدسي أن أسوان مدينة عامرة بأوجه التجارات المختلفة ؛ وذكر أيضا اليعقوبي أن بأسوان تجارة المعادن و نقطة التقاء تجارة مصر مع بلاد النوبة من الجنوب و بلاد البيجة من الشرق.

أضف إلى ذلك كانت البضائع تصل من الهند و الصين و تسلك طريق البحر الأحمر ثم تحط في ميناء القلزم و تنقل التجارة بالجمال إلى الفرما و من القرما على السفن حتى تصل موانئ ايطاليا و فرنسا و أسبانيا ؛ و ذكر وليم الصوري عن مدينة الإسكندرية بأنها كانت سوق العالمية ؛ و كانت تجارة البحر الأحمر تصل إلى ميناء راس بنأس المالبة أو القصير ؛ و تحمل بطريق القوافل عبر الصحراء الشرقية و تحط في مدينة قفط و منها بواسطة الفيل حتى تصل الإسكندرية.

و بواسطة الطرق التجارية بين مصر و الشام و سائر بلاد . المشرق و بين مدن في الواحات و المغرب ، و مصر و إثيوبيا و أواسط افريقية زاد النشاط التجاري المصرى؛ و ذكر بعض المؤرخين أن

من القلزم ما ينقل إلى الحرمين و جدة و إلى عمان و الهند و صنعاء و عدن و الشمر و السند و جزائر البحر ، و من جهة تنيس و دمياط و الفرما تنقل التجارات إلى بلاد الروم و العزيمة و قبرس ، و الشام و العراق ، و من جهة الإسكندرية نقل التجارة المصرية إلى كريت و صقلية و المغرب و طنجة ، وغيرها من المدن.

ونجد العرب يهتمون بطرق التجارة المصرية منذ فتحها سنة ٢٠ هـ ، فقد أمر عمر بن الخطاب بإعادة حفر القناة التي تربط البحر الأحمر بالنيل شمال مدينة الفسطاط ، و كانت هذه القناة محفورة من عصر الفراعنة ، و البطالمة و الرومان أيضا و كانت تهمل أحيانا كثيرة و تجدد أحيانا أخرى؛ و جدها عمرو بن العاص في زمن الخليفة عمر و أطلق عليها قناة أمير المؤمنين، نسبة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ و أن إعادة حفر هذه القناة كان سنة ٢٣ هـ ، و ظل هذا الخليج مسلكا للتجارة إلى الحجاز و اليمن و الهند و لم يزل كذلك حتى قدم إلى مصر محمد النفسي الزكية تائرا في الحجاز ضد الخليفة أبي جعفر المنصور ، وكذلك أمر أبو جعفر واليه على مصر بردم هذا الخليج .

و أراد هارون الرشيد الخليفة العباسي أن يحفر قناة تصل بين القلزم و الفرما و هي فكرة قناة السويس الحالية فخوفه منها يحيى بن خالد البرمكي من أن شأن ذلك وصول الروم إلي الحجاز و المسجد الحرام ، فألغى هارون هذه الفكرة ؛ كما وصل إلى مصر خلال القرن الثالث الهجري التجار اليهود الراذانية

والذين يجيدون اللغات العربية و الفارسية و الرومانية و الإفرنجية و الأندلسية و الصقلية ، و كانوا يجلبون إلى مصر الخدم و الجوارى و الغلمان و الديباج في جنود الغز و الفراء و النمر و السيوف ؛ و من بلاد الشرق كانوا يجلبون المسك و العود و الكافور و الدار صيني ، ٤: و كانت كافة البلدان تحمل تجاراتها إلى مصر و تفرغ فيها بضاعها مثل الطرائف و النيق و التحف و الطيب و الافادية و العقاقير و الجواهر و الرقيق و غير ذلك من صنوف المأكل و المشارب و الملابس .

٤- الحياة العلمية

لعب مصر دورا هاما في الحركة العلمية على مسرح الدولة العربية الإسلامية خلال عصر الولاية ، وذلك منذ الفتح الإسلامي لها ، و اعتمدت الحركة العلمية في مصر على الدين الإسلامي ، و حملوا هذه النهضة الصحابة الذين نزحوا إلى مصر مع حركة الفتح الإسلامي و أيضا التابعين الذين جاءوا إلى مصر بقصد الإقامة فيها و نشر تعاليم الإسلام الحنيف ؛ و شجع الخلفاء هؤلاء العلماء على نشر العلوم بمصر و تعليم الشعب المصرى العلوم الدينية ؛ و قد أرسل الخليفة عمر بن الخطاب إلى مصر الصحابي حبان بن حبله ليفقههم في الدين و ليكون معلما لم ؛ كما أرسل الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز فقيه أهل المدينة نافع ليعلم أهل مصر السنن و عاش مدة طويلة في مصر و أصبح له تلاميذ حملوا من بعده انه الرسالة في تعليم المصريين مختلف علوم الإسلام .

ونجد مصر بعد فترة زمنية بها نخبة من العلماء في شتى علوم الإسلام في الفقه و الحديث و الرواية و اللغة و الأدب و التاريخ و غيرها من العلوم التي راجت في ذلك الوقت ، وكان اشهر من علم بمصر عبد الله بن عمرو بن العاص و الذي اتبعه أهل مصر في الفتوى ؛ و له قرابة مائة حديث ؛ و قد دخل الإسلام عبد الله بن عمرو بن العاص قبل والده عمرو بن العاص ، و كان عالما في علوم القرآن الحديث و ذكر أبو هريرة "ما كان أحد أحفظ لحديث الرسول عليه السلام مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه كان يكتب ولا أكتب، و قال عبد الله حفظت عن النبي صلى الله عليه و سلم ألف حديث .

ومن أهم العلماء العرب الذين ذاع صيتهم في مصر الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي ولد بمصر سنة ٦١ هـ ، وقد نال قسطا كبيرا من العلوم في مصر؛ و اشتهر بمصر أيضا يزيد بن أبي حبيب ولد سنة ٥٢ هـ ، واخذ عنه الليث بن سعد و آخرون و مات يزيد بن أبي حبيب بمصر سنة ١٣٨ هـ ؛ و ظهر بمصر العالم الفقيه أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة الذي ولي قضاء مصر (١٥٥ - ١٦٤ هـ) و مات سنة ١٧٠ هـ ؛ ثم ظهر اعظم فقهاء مصر و هو الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي و هو من مواليد مصر سنة ٩٤ هـ ، و اشتغل بالفتوى و رواية الحديث و ذكر عنه أنه كان يحصل في السنة على خمسة آلاف دينار ؛ و كان يحسن القرآن الكريم و النحو و يحفظ الحديث و الشعر و مات سنة ١٧٥ هـ و رثاه كثير من الشعراء .

و وفد العلماء إلى مصر لينهلوا من علومها، فقد جاء إلى مصر لطلب الحديث أبو سعيد عثمان (ت ١٨٤هـ)؛ و وفد إلى مصر ثالث الأئمة و هو. الإمام محمد بن إدريس الشافعي الذي ولد بغزة سنة ١٥٠هـ؛ و جاء مصر سنة ١٩٨ هـ و صنف بها كتبه و ذاع منها مذهبه و مات سنة ٢٠٤ هـ؛ و اشتهر مذهب الإمام مالك بمصر اكثر من المذاهب الأخرى و ذلك لتوفر أصحابه بمصر منهم عبد الرحمن بن القاسم ، و يقال أن أول من ادخل علم الإمام مالك بمصر هو عثمان بن الحكم الجذامي و توفي سنة ١٦٣ هـ؛ و من الفقهاء المالكية بمصر طليب بن كامل اللخمي ، و سعيد بن عبد الله؛ ولهما تلاميذ كثيرين تفقهوا في مذهب مالك بمصر.

و من أعظم من تفقهوا على مذهب مالك . أبو عبد الله عبد - الرحمن بن القاسم بن خالد و الذي صحب الإمام مالك مدة عشرين سنة ، وعنه أخذ سحنون (اشهر علماء إفريقية) ، و مات أبو عبد الله بن القاسم بمصر سنة ١٩١ هـ؛ و منهم عبد الله بن وهب بن مسلم المصري الذي مات بمصر سنة ١٩٧ هـ ، و منهم أشهب بن عبد العزيز بن داود بن إبراهيم القسي و مات سنة ٢٠٤ هـ؛ و من فقهاء المالكية بمصر عبد الله بن الحكم بن أعين و كأن رئيس طائفة المالكية بمصر ، و مات سنة ٢١٤ هـ و اخذ عنه ابنه عبد الرحمن بن عبد الحكم صاحب كتاب فتوح مصر الذي مات سنة ٢٥٧ هـ؛ و محمد بن عبد الله

بن الحكم ، و جاء إليه كثير من التلاميذ من إفريقية و الأندلس لينهلوا علوم مالك ، و مات عبد الله بن الحكم سنة ٢٩٨ هـ .

أما المذهب الحنفي فكان المذهب الخاص بأهل العراق، و فضله الخلفاء العباسيون على كل المذاهب الأخرى، وكان القضاء في مصر يسير على مذهب الإمام أبي حنيفة على الرغم أن معظم أهلها يتبعون مذهب الإمام مالك ، فولى القضاء على مصر القاضي إسماعيل ابن اليسع الكندي (١٦٤ - ١٦٧ هـ) و هو من إتباع مذهب أبي حنيفة و لكن أهل مصر لم يوافقوا على هذا القاضي فقام الخليفة المهدي بعزله ، على أنه بعد انتشار المذهب الشافعي بمصر اصبح ينافس المذهب المالكي ؛ فظهر من فقهاء الشافعية أبو يعقوب بن يوسف البويطي ، و كان من الذين لم يقرؤا بخلق القرآن الكريم فسجن ببغداد و مات سنة ٢٣١ هـ في عهد الخليفة العباسي الواثق

و برز من فقهاء الشافعية في مصر عبد العزيز بن عمران الخزاعي المصري و كان مالكيًا و لكنه غير مذهبه إلى الإمام الشافعي و مات سنة ٣٣٤ هـ ؛ و من الفقهاء الشافعية الربيع بن سليمان الجيزي الذي مات سنة ٢٥٦ هـ ؛ و لم يكن المذاهب الأخرى فكر في عصر الولاية في مصر ؛ و ظل جامع عمرو بن العاص هو مركز الحركة العلمية في مصر خلال هذا العهد ، فكان الجامع ملتقى العلماء

و الأئمة و الفقهاء، و يلجا إليه الناس للاستفتاء ؛ و وفد إليه طالب العلم لتلقي العلوم ، و خرج أجيال عظيمة من هؤلاء العلماء .

و ظهر بمصر من أئمة القراءات أبو يعقوب بن الأزرق يوسف ابن يسار المصري ؛ و من علماء إفريقية الذين أخذوا عن علماء مصر البهلول بن راشد (ت ١٨٣هـ) ؛ و من علماء الأندلس أيضا عيسى بن دينار ، و أنصرف إلى قرطبة و كان لا يداركه أحد في الفتيا و يقال أن مذهب مالك انتشر على يديه بالأندلس و مات في طليطلة سنة ٢١٢هـ .

الفصل السادس

قوة مصر في العصر الطولوني (٢٥٤ - ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ - ١٩٠٥ م)

تبين شخصية الدولة كشخصية الفرد، يمكن أن تنمو وأن تتطور وأن تتدهور؛ ومصر موضوع مثالي لمثل هذا البحث، نظراً لما تمتاز به من طبيعة جغرافية واضحة الحدود، ولما تملكه من تاريخ حافل لقد كانت مصر أول أمة في التاريخ القديم نمت في نفسها عناصر الأمة بمعناها الكامل الصحيح؛ وبعدها كانت أول دولة بالمعنى السياسي المنظم تظهر على مسرح العالم القديم؛ فامتلكت مقومات الشخصية القومية في منطقة الشرق الأدنى، وذلك منذ العصر القديم حتى أصبحت قلب العالم الإسلامي، وحجر الزاوية في العالم الإفريقي.

فدور مصر الحضاري في المقدمة التاريخية، في الموارد والطاقة وفي السياسة والحرب، وهي قلعة جغرافية لا تتكرر في أي ركن من أركان العالم، فمصر التجانس والوحدة البشرية والاستمرارية ثم الوطنية والقومية؛ حتى عندما جاء القائد العربي عمرو بن العاص وفتح مصر سنة ٦٤١/٥٢٠ م، اندمج العنصر العربي مع المصري، لأن العنصرين من أصل واحد مشترك؛ فكلاهما أقارب جنسياً منذ قبل الإسلام؛ فإختلاط الجنس العربي والمصري في الحقيقة زواجاً بين أقارب بعيدين، ولذلك فإن العرب عربوا مصر ثقافياً، والمصريون مصرروا العرب جنسياً .

وحافظ القائد عمرو بن العاص والولاة المسلمون من بعده على هذا النمط حتى صبغت مصر بصبغة عربية إسلامية؛ حتى لم يات القرن الثالث الهجري إلا وقد تعربت مصر في ظل عالم اجتماعي محكم بين العرب والأقباط قائمة على حسن المعاملة والجوار، والذي ضمن قوة مصر الاقتصادية والسياسية والعلمية، والاحتفاظ بلامح الشخصية المصرية والعمل على استمراريتها في ظل الإسلام، فحافظ الحكام المسلمون على قوة مصر في كافة المجالات ففي الزراعة، والصناعات والتجارة؛ حتى تمتعت بمركزا اقتصاديا مرموقة على مستوى العالم الإسلامي في ذلك الوقت؛ وتبادلت سلعتها مع كافة بلدان العالم، وقدم التجار إلى موانيها من كافة الجنسيات، وأصبحت عملاتها من أقوى النقود الذهبية علي مستوى العالم.

ونظر بعض الولاة العرب إلى قوة هذه الإمكانيات وملامح شخصية مصر القوية وأراد الإنفراد أو محاولة الانفراد بحكم مصر بعيدا عن مراكز الخلافة؛ وكان اول هؤلاء الولاة عمرو بن العاص، ربما هذا الذي ادي بالخليفة عثمان بن عفان بعزله عن مصر وتوليته عبدالله بن سعد بدلا منه، وكانت هناك محاولة ثانية على يد السري بن الحكم في عهد الخليفة المامون في سنة ٢٠١هـ؛ وحاول الانفصال بمصر وتكوين حكم ولاسرتة ولكنه مات ٢٠٥هـ، وجاءت محاولة اخيرة على يد رجل يسمي عبدالعزيز بن الوزير الجروي ولكنه فشل بسبب مقاومة الخلافة العباسية له والقضاء عليه، وكانت محاولات الاستقلال بشخصية مصر عن الخلافة مقدمة لاحمد بن طولون واسرتة للانفراد بمصر عن الخلافة العباسية، بل

الاستقلال بها استقلالا فعليا ، وبرزت الدولة الطولونية امكانيات مصر الهائلة فى مختلف المجالات واستغلتها استغلالا ايجابيا الذى ادى الى احتلال مصر مرتبة عظيمة بين بلدان العالم الاسلامي .

اولا: جهود احمد بن طولون لاهياء الشخصية المصرية :

ارتبطت قوة شخصية مصر الاسلامية بضخية قوية شخصية احمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية فى مصر ، وجاء احمد بن طولون حاكما مصر نيابة عن الوالي بكباك المعين على مصر من قبل الخليفة العباسي المعتز ٢٥٤هـ/٨٦٨م ؛ وفضل باكباك البقاء في عاصمة الخلافة العباسية خوفا من المؤامرات التي تحاك بجنده، شأنه شأن القواد الأتراك الذين آثروا إرسال من ينوب عنهم في حكم الولايات التي تقطع إليهم؛ وبالتالي كان الخلفاء العباسيون يرحبون بذلك خوفا من استقلال هؤلاء الولاة بالبلدان التي يحكمونها؛ وكان هؤلاء النواب يرسلون الأموال الولاة النائيين عنهم ويدعون لهم على المنابر كما يدعي للخليفة؛ وذلك ما فعله أحمد بن طولون مع باكباك عندما حكم مصر نائبا عنه؛ واجتهد الخلفاء في مراقبة الولاة لئلا يستقلوا بولاياتهم، ولم يدر تجلدهم مراقبة نوابهم.

وصل أحمد بن طولون مصر في شهر رمضان سنة ٢٥٤هـ منتصف سبتمبر سنة ٨٦٨م، ومعه بعض الجند لينتقوى بهم في هذا البلد الجديد، وسرعان ما فطن أبو طولون إلى إمكانيات مصر الاقتصادية والسياسية القوية، فأراد العمل على تأسيس دولة مستقلة يحكمها وأولاده من بعده؛ فاستقل بأمور البلاد،

وساعده على ذلك طول المسافة بين العراق ومصر، وإمكانيات مصر القوية، وقوة شخصيته؛ واستعان بالمصريين في إدارة شئون مصر، لأنه استطاع بثاقب بصره أن يعرف أن المصريين أقدر من غيرهم في إدارة شئون بلدهم .

ووضع وضع أحمد بن طولون أمام بصره إنشاء أركان الدولة ان المستقلة، فأقام في المدينة العسكر لمدة عامين ثم بني عاصمة جديدة لنفسه ولجنده باسم القطائع، واتسعت هذه المدينة حتى اتصل عمرانها بمدينتي العسكر والفسطاط، وازدحمت بالأسواق والطواحين والحمامات والأفران حتي نافست بمنشأتها مدينة الفسطاط؛ وكانت على نفس طراز مدينة سامراء التي شيدت بالعراق سنة ٢٢١ هـ ؛ وهو بذلك وضع محاولة السرى بن الحكم الذي استقل بمصر وأراد أن يجعلها في أبنائه من بعده، وجعل السرى العاصمة في مدينة تئيس، بدلا من الفسطاط؛ حتى لا تتمكن الجيوش العباسية من القضاء عليه؛ فوضح أحمد بن طولون بهذه المحاولة منهاجا له ولحركته الاستقلالية بمصر؛ فمجرد وصوله لمصر قام بعزل الموظف العباسي عامل الخراج- أحمد بن المدير لإجفافه على الشعب المصري في جمع المال مما أدخل السعادة في قلوب المصريين، وزاد حبه في قلوبهم؛ فصار الحاكم الإداري والمالي والعسكري لمصر، وقضى على الفتن الداخلية، وغرس الامن والأمان في نفوس المصريين، وعم الرخاء في ربوع البلاد؛ حتى بعد

وفاة باكيك تولى مصر يارجوخ الذي كان والد زوجة أحمد بن طولون، فأرسل له رسالته المشهورة "تسلم من نفسك لنفسك".

استطاع بعد قليل أحمد بن طولون أن يؤسس دولة قوية في مصر ظهرت فيها ملامح شخصية مصر من قوة الحاكم وقوة الإقليم؛ فكون جيشا قويا كثير العدد والعدة وذلك لحماية أمن مصر، وصل عنده مائة ألف جندي؛ وأصلح مقياس النيل بالروضة؛ وشيد اليمارستان وهو المستشفى الذي أنفق على بنائه ستين ألف دينار، وذلك لعلاج المرضى المصريين؛ فقدر المصريون كل ذلك، فأحبوا ابن طولون، وأستحوذ ابن طولون على ود وتقدير المصريين، ويعتبر من أهم جوانب الشخصية المصرية في العهد الطولوني ترابط الحاكم والمحكوم معا؛ وتفرغ لح بن طولون لتصفية الأجواء الداخلية من القلاقل والدسائس المحيطة بها.

واستطاع ابن طولون أن يقضي على أحمد بن المحبر كاتب الخراج في مصر، وكان ابن المدبر من دهاة الناس وشياطين الكتاب، واران ابن المدبر، يكسب ود ابن طولون فأرسل إليه هدية مقدارها عشرة آلاف دينار، غ ير أن ابن طولون رفضها وعرف ابن المدبر قوة شخصية ابن طولون، فحاول تحسين علاقته به وذلك بعمل مصاهرة بتزويج ابنته من خماروية بن أحمد بن طولون، وجعل لها كل ما كان له بن عقار ثابت في مصر؛ ومع ذلك لم تستمر العلاقة الحسنة بين الرجلين طويلا، بالرغم من الزواج

السياسي الذي تم بينما بسرعان ما عزل ابن طولون ابن المدين من منصبه، بعد أن احتل بلاد الشام، وحسبه في سنة ٢٦٥هـ ، ومات ابن المدبر في حبسه في صفر سنة ٢٧٠هـ ، وقيل إنابن طولون قتله .

كما قضى ابن طولون على الكاتب شقير الذي كان يتجسس على ابن طولون إلى الخليفة العباسي، لأن شقير أرسل رسالة إلى الخليفة يحذره من استقلال ابن طولون بمصر؛ ولكن ابن طولون كانت تربطه علاقات طيبة مع كبار رجال الخليفة في مدينة سامرا، وخاصة الحسن بن مخلد الذي أحتفظ برسائل شقير كاتب أحمد بن المدبر - وأرسلها لأبن طولون في مصر، وحذره من هذه الشخصية، دون أن يطلع عليها الخليفة العباسي، فقام ابن طولون بعزل شقير بعد أن تعرض للعنف من جانب شرطته؛ وبذلك تخلص ابن طولون من اهم شخصيتين من مثيري المؤامرات، ضبده وهما ابن المدبر والكاتب شقير سنة ٢٥٦هـ .

أما في الداخل فقد قضى على ثورة ضده بقيادة رجل يسمي ابن الصوفي العلوي، وجمع حوله معظم قبائل الصعيد، واستولى على إسنا بصعيد مصر، وخربها وقتل أعدادا كبيرة من أهلها؛ وهزم ابن الصوفي جيشا لابن طولون، ومثل بجثة قائده (ازدار)؛ ولكن ابن طولون أرسل جيشا آخر بقيادة (بهم بين الحسين) الذي هزم ابن الصوفي عند أحميم بصعيد مصر، ثم فر ابن الصوفي إلى الواحات بصحراء مصر الغربية ومنها إلى أسوان، ثم عبر البحر الأحمر إلى مكة المكرمة حيث قبض عليه بها، وأرسل إلى

ابن طولون بمصر وأعلن بان الصوفي توبته وعفى عنه ابن طولون، ورجل الى المدينة المنورة وعاش بها حتى مات.

و أضاف إلى ذلك استطاع ابن طولون القضاء على ثلاث ثورات داخلية وذلك لتثبيت دعائم حكمه، فالأولى قضى علي ثورة رجل علوي يسمى بغا الأصفر حيث عاد برأسه قائد ابن طولون (بهم بن الحسين) من الإسكندرية، والثانية بقيادة رجل يسمى أبو الدوح من بقايا رجال ابن الصوفي العلوي وكان ينتقل بين الصعيد والإسكندرية والبحيرة، إلى أن أرسل ابن طولون عدة حملات قضت عليه وانتهى الأمر بقتله؛ أما الثورة الثالثة فكانت بقيادة رجل يسمى ابو عبد الرحمن العمرى ؛ وأشيع عنه لأحمد بن طولون أنه يريد الاستقلال بمصر؛ و هزم عدة حملات عسكرية من قبل أحمد بن طولون؛ ولكن قتل هذا الرجل على يد غلامين من العرب؛ وأنتهت ثورته في مصر العليا، فاطمئن ابن طولون على خلو الوضع الداخلي بمبن منهم في القلاقل .

وقام ابن طولون بتصفية الأوضاع الداخلية من الموظفين المرتشين والعمال الخونة؛ فأودع في السجن حوالي ثمانية عشر ألف شخص من العمال والموظفين المرتشين والخارجين على سياسته حتى أنه اضطر لسجن القاضي بكادين قتيبة عندما خالف سياسية أحمد بن طولون في لعن الموفق طلحة أخو

ال خليفة العباسي؛ ووضع أحد أصدقائه بالسجن وهو "أبو المفضل" متولي النفقات عندما ثبت أنه أختلس

بعض الأموال الخاصة بالدولة، وبذلك أصبح الجهاز الإداري والمالي الدولية ابن طولون نظيفا.

وظهرت قوة شخصية أحمد بن طولون أثناء نزاعه مع الموفق طلحة (اخ الخليفة العباسي المعتمد)

وهو من أقوى الشخصيات العباسية؛ و أوكل إليه جمع الأموال من الولايات العمليات الإسلامية كلها

للقضاء على ثورة الذبح؛ وبدا النزاع عندما أرسل الموفق رسالة مع أحد أتباعه ويدعى (تحرير)، وطلب بها

من أحمد بن طولون الأموال التي ترسلها مصر إلى الخلافة فارسل له أحمد بن طولون مليون ومائتي الف

دينار؛ استصغرها الموفق طلحة؛ وقيل أيضا أن الخليفة العباسي المعتمد أرسل لأحمد بن طولون رسالة

سرية يأمره بعدم إرسال الأموال إلى الموفق، وفي نفس الرسالة حذره من الكاتب تحرير رسول الموفق بأنه

قادم إلى مصر لتأليب الجند على أحمد بن طولون وبث الفتنة والدسائس لهدم دعائم الكيان المصري القوي

الذي يسير ابن طولون في بنائه.

اتخذ ابن طولون حذره، بل استقبل تحرير استقبالا حسنا؛ ولكنه جعله بمعزل عن رجال الدولة

وعول على عدم اتصاله بهم، وجعله بمعزل عن رجال الحكم الطولوني ثم أعطاه الأموال للموفق وودعه

وداعا عظيما حتى مدينة العريش؛ وبعد ذلك تفحص ابن طولون الرسائل التي كانت مع تحرير والتي تؤلب

بعض الشخصيات ضد أحمد بن طولون؛ وعلى الفور أوقع بهم أشد أنواع العقاب بسبب خيانتهم وانضمامهم

إلى الموفق طلحة، والتجسس ضده؛ ولذلك بادر الموفق إلى عزل ابن طولون عن ولاية مصر، لأنه يعلم بمدى ثراء مصر، وقلة المبلغ المرسل إليه، وولي مكانه أماجور الذي رفض ولاية مصر لعدم قدرته على مواجهة ابن طولون؛ وهنا وقعت الضغينة بين ابن طولون والموفق، ولعن كل منهما الآخر، وتبادلا الرسائل التي اتصفت بالعنف والصراع، ودارت الفتنة بين الرجلين .

ومهما يكن من أمر، فإن محاولات الموفق طلحة قد باءت بالفشل؛ وأصبح أحمد بن طولون صاحب الأمر والنهي في دولة واسعة امتدت من شمال بلاد الشام حتى برقة؛ واثر الموفق الصلح مع ابن طولون؛ وتعهد كل منهما بعدم لعن الآخر على المنابر، وعدم تعرض كل منهما للآخر؛ بل تبادلوا الاعتذارات بينهما، وكان ذلك في سنة ٢٧٠ هـ؛ وبذلك فرغ أحمد بن طولون من اعتماد الخصوم، وراح يستغل إمكانيات مصر ليلعب دورا هاما على مسرح الأحداث الداخلية والخارجية؛ ونجد ابن طولون لا يتورع في وضع ابنه العباس في السجن عندما حاول النيل من استقلال مصر ومحاولة اقتطاع جزء من هذه الدولة المترامية الأطراف، فحاول الاستقلال بإقليم برقة؛ وذلك أثناء غياب والده لضم بلاد الشام لمصر؛ كما حاول العباس ضم القيروان إلى برقة؛ ولكنه هزم على يد الخوارج الأباكية والأغالبة؛ واعتكف ببرقة؛ ولكن أحمد بن طولون أرسل إليه جيشا وهزمه سنة ٢٦٨ هـ، وأودع العباس في السجن؛ وقتل كل

من كان معه؛ وهنا انتهى من كل الصعوبات التي قابلته، وتفرغ لبناء دولة قوية؛ والتي أصبحت أقوى من مركز الخلافة العباسية نفسها.

ثانيا- ملامح شخصية مصر الداخلية في العصر الطولوني (٢٥٤ - ٢٩٢هـ / ٨٦٨ - ٩٠٥م)

ظهرت شخصية مصر كدولة مستقلة ذات مظاهر وملامح مميزة خلال العصر الطولوني، وإن كانت تابعة اسما فقط للخلافة العباسية؛ فتفاعل العنصر العربي بمصر مع أبناء البلاد فنتج تيار حضاري إسلامي ميز ملامح مصر الإسلامية خلال العصر الطولوني، وظهرت مصر كخليفة مضطربة في قلب العالم الإسلامي، بل وارتبطت بجميع أقاليم العالم الخارجي مما زاد من عملية الإخصاب الحضاري؛ فتشبه أحمد بن طولون في حكمه لمصر بالملوك؛ فأخذ الحجاب والكتاب والمواكب العظيمة والموائد، وسك الدنانير باسمه منذ سنة ٢٦٦هـ، بجالب اسم الخليفة، ولم يتخذ الوزراء في بلاطه، إنما اتخذ الحجاب والكتاب لأنه كان واسع السلطان و النفوذ؛ فكان له كتاب السر الخاصين يجلساته، وكتاب الإنشاء الذين يكتبون مراسلات الطولونيين إلى ملوك وأمراء العالم الخارجي.

وبرزت في مصر وظيفة عمال البريد أو أصحاب البريد، اختصوا بكتابة التقارير بكل ما يجري في البلاد، وعملوا أيضا بالتجسس للطولونيين بجانب إنجاز الرسائل وتوصلوا، وظهرت الشرطة الطولونية وحققت الأمن بين الشعب، وقام القضاة بدورهم في إرساء قواعد العدل بين الناس وتحت مراقبة ابن طولون؛

ونظم السجون بحيث كان السجن يقوم بصناعة بعض الأشياء وهو في السجن وتباع لحسابه، وهذا ما يشبه النظام الحالي؛ وأشرف على الأقاليم والكور وساعده في ذلك الأمراء الطولونيون؛ وأقام سباق الخيل في احتفال مهيب في ساحات القصور الذي اعتبره المؤرخون من عجائب الإسلام وسمع شكاوي الرعية وتظلماتهم قبل كل صلاة؛ وكان يستمع إلى كل ما يدعو إلى الورع وتقوى الله عز وجل

وبرزت ملامح شخصية مصر الطولونية بكل وضوح وقوة وعلى كافة أنشطة الحياة العامة؛ فتمتعت مصر بالرخاء والثراء على مختلف مجالاتها؛ وقد ظهر ذلك على حكام البيت الطولوني والمصريين؛ حتى قيل أن أحمد بن طولون ترك خزانته عشرة مليون دينار، وحوالي عشرة آلاف فارس من المماليك، ومن الحرس أربعة وعشرين ألف مملوك، وثلاثمائة حصان، وآلاف البغال والحمير والجمال، ومائة سفينة حربية؛ وأنتجت الزراعة إنتاجا وافرا نتيجة لاعتناء الطولونيين بها، وظهرت الترع وأقيمت المقاييس العديدة على النيل وألغيت معظم الضرائب مما خفف من على كاهل الفلاحين المصريين، وشجعهم على امتلاك الأراضي وإعطاهم حق الملكية؛ فزاد خراج الأرض وبلغ في عهد أحمد بن طولون ٤٣٠٠٠٠٠٠ (أربعة ملايين وثلاثمائة ألف دينار) ، بعد أن كان في سابقه ٨٠٠٠٠٠٠ مليون دينار ، ورخصت الحبوب فكان كل عشرة ارادب من القمح بدينار واحد ، واستمر ذلك في عهد خمارويه ابنه ، ولا شك ان المصريين شعروا برغبة العيش ذلك الوقت .

أما في مجال الصناعات في مصر فحدث تقدم كبير في صناعة النسيج اليدوي وأنتجت أعظم أنواع النسيج من القطن والصوف والكتان والتي أنتجته مراكز النسيج المصرية في مدن تنيس ودمياط والإسكندرية والاشمونين والبهنسا وأسيوط وأخميم، وراجت صناعة الحرير في الإسكندرية وديق؛ واشتغلت بالنسيج دور الطراز الحكومية لصناعة ثياب رجال الدولة والأمراء والوزراء؛ كانت تنتج أنواع الديباج والوش، بلغت منتجاتها أسواق العالم الإسلامي والخارجي شهرة وجودة؛ وأرسلت المنتجات المصرية على عاصمة الخلافة كانت هناك في مصر مصانع حرة تعمل ثياب ونسيج للتصدير والتجارة، وكانت تدفع للحكومة ما عليها من ضرائب؛ وتقدمت صناعة الأسلحة المختلفة الخاصة بالجيش والشعب؛ وازدهرت صناعة أوراق البردى وصدرتها مصر لأوروبا، وصناعة الصابون والسكر والزجاج والمعادن والخزف؛ وقام بهذه الصناعات الصناع المصريون سواء من العرب أو من الأقباط واستعملوا الفنون الفارسية والبيزنطية في صناعاتهم بجانب الفن القبطي الإسلامي .

وحدث إرتباط وتقدير متبادل بين الطولونيون والمصريين، فحرص أحمد بن طولون وكبار رجال دولته على العطف على الرعية والشعب، فكانوا يقدمون لهم المآدب والمجالس ويجلسون معهم لنيل رضاهم؛ وشيد ابن طولون انيمارستان لعلاج مرضى المصريين، وشيد لهم حمامين شعبيين، وعمل جاهدا على كسب رضا الشعب المصري؛ وأيضا كان الأقباط واليهود في أحسن حال لأن الطولونيين عاملوهم على قدم

المساواة بالمسلمين والعرب وأعفى ابن طولون الرهبان في الأديرة من الضرائب والجزية؛ وتبرع بمبلغ ثلاثين ألف دينار لبعض المسيحيين على أثر حريق شب بالحي المجاور لكنيسة العذراء مريم؛ وذكر لينبول أن الأقباط لم يشهدوا عصرا تمتعوا فيه بهدوء كبير وتسامح عظيم مثل عهد الطولونيين ، كل ذلك أدى الترابط الاجتماعي بين الرعية من جانب وبينهم وبين الحاكم من جانب آخر، وهذا من مميزات شخصية مصر الإسلامية في العصر الطولوني ؛ فعم الأمن والهدوء بين الحاكم والمحكوم، لدرجة أن خماروية بن أحمد بن طولون أنشأ حديقة الحيوانات احتوت على كافة ألوان وأشكال الطيور والحيوانات المستأنسة والمتوحشة، وكان ذلك يدل على رفاهية مصر وسبقها في ذلك العالم الإسلامي.

وبلغت مصر مكانا بارزا في الحياة العلمية والفكرية؛ فكان أحمد بن طولون يخالط العلماء والأدباء، ويشجع منهم بإعطائه الهبات والعطايا؛ فظهر علماء في شتى علوم الدين والدنيا، منهم محمد بن عبد الله بن عبد الحكم (ت ٢٦٨هـ) وكان من أهل النظر والحجة وقدم إليه الناس للانتفاع بعلمه من المغرب والأندلس، وله مصنفات كثيرة؛ ومن أهل العلم المشهورين بمصر محمد بن الأصمغ بن الفرغ (ت ٢٧٥هـ)؛ والعلامة ابن المواز ابو عبد الله بن ابراهيم الإسكندراني، وكان رئيسا لمذهب مالك بمصر ومات بها سنة ٢٨١هـ؛ وظهر العالم دوح بن الفرغ الزبيري (ت ٣٠٦هـ)؛ وأحمد بن مسكين الذين ألقى علمه في جامع عمرو بن العاص بالفسطاط خلفا لأبيه؛ وأحمد بن خالد و الإسكندراني (ت ٣٠٩هـ).

بالإضافة إلى ذلك ظهر العالم المشهور الإمام المزني أبو إبراهيم إسماعيل ابن عمر المصري صاحب الإمام الشافعي (ت ٢٦٤ هـ) والذي صنف الجامع الكبير والجامع الصغير ومختصر المختصر؛ والعالم الربيع بن سليمان بن عبد الجبار المرادي وكان عالما في الفقه والدين (ت ٢٧٠ هـ)، وهو الذي ألقى أول درس في جامع أحمد بن طولون بالقطائع فكافأه على ذلك بألفي دينار، وتلمذ علي يديه عدنان بن أحمد بن طولون؛ وظهر العالم ابوزرعه محمد بن عثمان الدمشقي قاضي مصر (ت ٣٠٢ هـ)؛ والقاضي بيكار بين قتيه (ت ٢٧٠ هـ) ولد كثير من المؤلفات؛ والقاضي أحمد بن عمران و العالم الطحاوي الذي ألف معاني الآثار وأحكام القرآن الكريم والتاريخ الكبير واختلاف العلماء وله كتاب آخر في الشروط.

وذاعت شهرة كثير من العلماء وأصحاب الفكر، فمنهم رجال الحديث الذي نبغ منهم النسائي صاحب كتاب السنن، والذي سكن مصر ولم يغادرها إلا في سنة ٣٠٢ هـ، وصنف كتاب السنن الكبرى والصغرى ومستند مالك وغيرها؛ وبرز من المؤرخين عبد الرحمن بن عبد الحكم صاحب كتاب فتوح مصر؛ وأبو رفاعه بعبارة الفارسي صاحب كتاب التاريخ على السنين؛ ومن علماء النحو محمد بن عبد الله بن مسلم الذي علم أولاد خماروية علم النحو، وفي علم الطب سعيد بن نوفل من أهل الذمة، وسعيد بن البطريق المؤرخ، وظهر من الأدباء ابن عبد الله، ومن الشعراء الحسين ابن السلام الجمل؛ والشاعر قعدان

بن عمرو، والقاسم بن يحيى، ومحمد بن داود ؛ وهناك كتاب اشتمل على اثني عشر كراسية مدون به أسماء الشعراء الذين كانوا يحيطون أحمد بن طولون أثناء احتفالاته بالميدان بمدينة القطائع.

وأبضا ظهرت قوة ملامح شخصية مصر الطولونية في عصر خماروية بن أحمد بن طولون، وذلك بعد موت والده سنة ٢٧٠هـ ؛ فحافظ على استمرارية قوة مصر وحافظ على أملاك والده، وسار على نفس سياسته في إحياء الشخصية المصرية؛ وظل خماروية في حكم مصر اثني عشر سنة، ما بين سنتي ٢٧٠ - ٢٨٢هـ وأجزل عطاء الجند، وأعتق الأموال والهبات على أهل العلم؛ بل بالغ في حياة اللهو والترف، فقد ورث عن أبيه دولة قوية وأموالا طائلة، فكان يدخل في خزائنه كل عام بعد مصاريفه ونفقاته ألف ألف دينار؛ كما أستقدم عناصر من الجند آسيا الوسطى لتقوية الجيش الطولوني، بالإضافة إلى ضم طائفة من المصريين إلى الجيش، وعناصر من العرب كونوا فرقة عسكرية أطلق عليها أسم المختارة.

وتقرب خماروية إلى الشعب المصرى فشمّل بعنايته اهل الذمة ، ونعنوا في عهده بحرية لم يشهدوها من قبل؛ حتى أحبه أهل الذمة والمسلمون على النزاهة ورخصت أسعار السلع بصورة لم يسبق لها مثيل من قبل ؛ وانتشر الأمن والأمان في ربوع البلاد؛ حتي في عهد الخليفة العباسي المعتضد الذي تولى الخلافة سنة ٢٧٨هـ / ٨٩٢م ، اعترف بنفوذ مصر ما بين برقة غربا إلي أعالي الفرات شرقا، ولمواصلة

الود مع الخلافة العباسية أرسل خماروية مبلغا من المال إلى الخليفة مقداره خمسمائة ألف دينار بجانب الهبات والهدايا.

وخير دليل على ثراء مصر، مظاهر الزواج الذي تم بين الخليفة المعتضد الذي تزوج من قطر الندى أبنيت خماروية سنة ٢٨٢هـ ؛ وذكر المؤرخون عنه أنه أعظم عرس أو حفل زواج في التاريخ؛ حتى قيل أن الخليفة استحوذ على جزء كبير من ثراء مصر في صورة هذا الزواج، والذي انفق عليه خماروية أكثر من مليون دينار، وبذلك جعل خماروية الخلافة " العباسية توافق على وراثته حكم مصر في أرتة بعد وفاته، وتوفي سنة ٢٨٢هـ ، بعد نعمت مصر بأرقى درجات الرخاء، ووصلت شهرتها آفاق العالم الإسلامي.

ونرى أن أحمد بن طولون منذ قدومه إلى مصر سنة ٢٥٤هـ، وبذل قسارى جهده في إظهار ملامح شخصية مصر الإسلامية، حتى ضارعت مصر بغداد وسامراء؛ وحافظ ابنه خمارويه على نفس سياسة أبيه منذ توليه الحكم سنة ٢٧٠هـ ، فظهرت شخصية مصر قوية؛ فاشتهرت بخزانة عامرة بالأموال، وبلاداً مستقرة؛ وعاش شعبها منعماً بالرخاء والرفاهية، واتسعت دولة مصر الطولونية تضم أملاكاً واسعة خارج حدودها .

ثالثاً: امتداد النفوذ المصري على البلدان المجاورة في العهد الطولوني:

وصلت مصر إلى درجة من القوة في عهد أحمد بن طولون تعدت قوة الخلافة العباسية، فشرع في بسط نفوذ مصر خارج حدودها لتكوين دولة واسعة النطاق تقترب من الإمبراطورية؛ وليكون مركز هذه الدولة مدينة القطائع عاصمة مصر آنذاك، فسرعان ما مد بصره نحو بلاد الشام الامتداد الطبيعي لمصر، وذلك لعمل جبهة قوية من البيزنطيين، فتوجه بحملة عسكرية نحو بلاد الشام لتأمين حشود مصر، فوصل إلى الرملة وفلسطين وقدم له حكامها محمد بن دماغ فروض الطاعة والتبعية، فثبته في حكمه تحت زعامته؛ ثم خضعت له مدينة دمشق وحمص وحماء وحلب؛ ثم استولى على انطاكية في سنة ٥٢٦هـ؛ ثم استولى على ديار مصر سنة ٥٢٦٨هـ؛ وضرب أحمد بن طولون دنانير ووضع عليها اسمه وفرض نفوذه على منطقة الشام بأسرها .

وسرعان ما ضم ابن طولون منطقة الثغور ، وضم منطقة المصيصة وطرسوس ، ومنطقة حران ثم اقام الحصون عليها ووضع فيها الجنود وحشد آلاف الحرب لتأمين الحدود الشمالية ضد البيزنطيين؛ ثم أر من حملة إلى الحجاز وذلك ليمنع الدعاء للموفق طلحة على منابر مكة؛ وبذلك إمتدت الحدود المصرية إلى أعالي الفرات وجبال طوروس في الشمال حتى طرابلس من الغرب، وأصبحت مصر حصن الإسلام وخط دفاعه الأول ضد البيزنطيين، وبذلك إذا جاز لنا أن نستعير اللفظ فقد أصبح أحمد بن

طولون إمبراطورا على دولة واسعة النطاق؛ حتى أن أحد ثوار بلاد المغرب وهو "المفرج بن سالم قام بثورة ضد أمير القيروان وانفصل بمنطقة كبيرة تقع بالغرب من برقة، وطلب الانضمام لمصر تحت زعامة ابن طولون؛ ولم يلتفت له ابن طولون لأنه كان لا يهتم بسultan الأغالبة بلاد المغرب؛ وهذا يفسر لنا رغبة هذا الثائر للانضمام إلى دولة قوية قادرة على حمايته، وانتهت ثورته دون الاتصال بحكومة ابن طولون في مصر .

وأقدم ابن طولون على حركة جريئة لو قدر لها النجاح لتغير تاريخ العالم الإسلامي عامة، وتاريخ مصر الإسلامية خاصة، وذلك عندما أراد نقل كرسي الخلافة من العراق إلى مصر، ودعى الخليفة العباسي المعتمد سنة ٢٩٨ هـ للقدوم إلى مصر والإقامة بها؛ وبالفعل خرج الخليفة من سامراء، ولكن عيون أخيه الموفق طلحة رصدته، وقبض على الخليفة قبل ان يفارق حدود العراق سنة ٢٦٩ هـ، ولو قدر لهذه الحركة النجاح ربما أصبحت مصدر مقرا للحكومة العباسية تحت زعامة ابن طولون .

ولم يغفل ابن طولون في ظل تلك الظروف عن العدو التقليدي للمسلمين وهو الإمبراطورية البيزنطية المتاخمة لحدود دولته الواسعة، فعمل على تخليص الأراضي الإسلامية التي استولى عليها البيزنطيون من الخلافة العباسية، ولذلك دعم قواته البحرية ووجد دور بناء السفن، وأنشأ قواعد بحرية قوية في دمياط والإسكندرية، حتى صار نحر ألف قطعة بشرية حربية وتجارية تمتلكها مصر؛ وبني تكتات عسكرية لجنوده

خارج مدينة القطائع بعدم إكتظت بهم ؛ وجدد حصون عكا ويافا بل اتخذ منها قواعد بحرية قوية؛ ووضع وحدات من أسطوله في ثغر طرسوس أقصى بلاد الشام، وذلك لتخليص البلدان الإسلامية من أيدي البيزنطيين، وأرسل عدة حملات إلي آسيا الصغرى ٢٦٤هـ ، وخلص كثيرا من الحصون والبلاد الإسلامية حتى حدثت هدنة بين ابن طولونو الإمبراطور البيزنطي؛ وأيد الخليفة العباسي حكم الثغور لاحمد، بن طولون.

وارسل الإمبراطور البيزنطي الهدايا وبعض الأسرى المسلمين الذين كانوا في الأسر عند البيزنطيين وعلى رأسهم عبد الله بن رشيد حاكم الثغورن ومن جملة الهدايا مصاحف قرآنية كريمة مخطوطة، وحدث صلح بين الفريقين سنة ٢٦٥هـ ؛ وتجدد القتال على جبهة الثغور في سنة ٢٦٨هـ ، حيث هاجم أمير طرسوس "طنمش" ومن بعده خلف الفرغاني أملاك البيزنطيين في آسيا الصغرى واستولوا على كثير من الحصون؛ وواصل حاكم طرسوس بازمان أيضا غارته الى بلاد الروم، وتوغل المسلمون في بحر ايجة حتى مضيق الدردنيل.

وأصبحت الإمبراطورية الرومانية في وضع الدفاع بعد أن كانت في وضع الهجوم، وذلك بسبب قسوة ابن طولون الضاربة؛ وذاع صيت قوة مصر وبذوغ نجم شخصيتها القوية على المنطقة بأسرها؛ وتمتعت باليمن حيث صارت طريقا الحجاج والتجار بين بلدان أفريقية والحجاز والعراق؛ واحترم الأغلبة

في أفريقية حكومة مصر الغنية، وأصبحت مروهوبة الجانب من كافة البلدان المحيطة بها، وقوة يعمل لها ألف حساب ، وظلت كذلك، حتى توفي مؤسس وهو احمد بن طولون سنة ٥٢٧٠ هـ ، وحل محله ابنه خماروية .

وحافظ خماوية على نفس مسار والد، واحتفظ بحدود الدولة الواسعة وشخصية مصر القوية، وانتصر على جيش العباسيين عندما حاولوا الهجوم على الشام عقب وفاة أحمد بن طولون، وذلك في معركة تسمى بالطواحين بين الرملة ودمشق على نهر ابي فطرس - وذلك في سنة ٥٢٧١ هـ ؛ وانتصر خماروية على جيش عباسي آخر كان بقيادة أسحاق بن كنداج في موقعة الرافقة بالشام، وظل الجيش المصري يتعقب الجيش العباسي حتى مشارف مدينة سامراء و قضى خماروية على معارضة محمد ابن ابي التاج وهزمه في معركة ثنية العقاب بجوار دمشق؛ وارتفع شأن خماروية في نظر معاصريه، وحافظ على أملاك أبيه الواسعة.

واعترف الخليفة العباسي بنفوذ خماروية و بحدود مصر الخارجية، كما أقر بخماروية في الحكم له ولأولاده ولمدة ثلاثين عاما، وذلك على أثر الصلح بين الطرفين؛ وإنهاء حالة الحرب بين مصر والخلافة العباسية؛ ودخل جميع حكام الثغور الإسلامية تحت طاعة خماروية، ودعى له على منابر الثغور والعواصم

بآسيا الصغري وأثر البيزنطيون السلام على الحرب مع خماروية؛ ونعمت مصر بفترة عظيمة من الهدوء والسلام في ذلك الوقت .

و وهنا امتازت مصر في ذلك الوقت بشخصية قوية تحت زعامة الطولونيين، وظهرت مقومات هذه الشخصية واضحة جلية، فدولة قوية في الداخل وقوية على النطاق الخارجي واعترف بذلك الإمبراطور البيزنطي والخليفة العباسي على السواء؛ وصاحب ذلك تقدم حضاري كبير لدى المصريين، وكشفوا عن إمكانياتهم الفريدة عندما أتاح الطولونيون للشعب المصري المشاركة في كافة المجالات، وبالتالي كسب" الطولونيون تأييد الشعب المصري له، وهذه من علامات الدولة الناجحة وأحد علامات ملامح الشخصية القوية لدولة حتى وفاة خماروية بن أحمد بن طولون سنة ٢٨٢ هـ .

رابعا- ضعف مصر في نهاية العصر الطولوني

بدأت ملامح شخصية مصر الطولونية القوية تمر بفترة من الضعف ؛ وكان اول هذا الضعف هو وصول حكام ضعاف من البيت الطولوني بعد موت خماروي ، فقدوا حب الشعب المصري بسبب الاضطرابات والفتن التي ظهرت في عهد هؤلاء الحكام ، الامر الذي سيؤدي الى زوال الدولة الطولونية؛ ولكن تبقى ملامح الشخصية المصرية كامنة داخل نفوس المصريين؛ فخلف خماروية ابنه الأكبر ابو العساكر حبيش منذ سنة ٢٨٢ هـ ، وكان صغيرا في الرابعة عشر من عمره لا يحسن من الأمور شيئا؛

اجتمع حوله مجموعة من الغلمان المترفين من أمثاله، أفسدوا عليه حياته وتصرفاته كحاكم لدولة مترامية الأطراف؛ فقام أبو العساكر بقتل عمه ابي العشائر (نصر بن أحمد بن طولون)؛ فأعلن الجند تذرهم من أبي العساكر ونادوا بخلعه من الحكم؛ وأعلن قادة الجند في مصر بضرورة عزله وأنكروا تصرفاته وتنصيب غيره لحكم مصر.

وأعلن جند مصر العصيان، وزاد الأمر سوءا عندما أعلن طفج بن جف حاكم دمشق، وابن طوغان أمير الثغور إسقاط اسم ابي العساكر من على المنابر، ولم ينزعج ابي العساكر من ذلك؛ ولذلك سارع الجند وكبار رجال الدولة وكتبوا محضرا بعزل أبي العساكر، فوثبوا عليه وقتلوه، واستولوا على أمواله؛ وترك معظم هؤلاء القادة الجندية وصاروا من أكابر زراع وتجار الريف المصري؛ وكان قتله في سنة ٢٨٣ هـ ، بعد أن حكم مصر لمدة تسعة أشهر واثنى عشر يوما؛ عاشت فيها البلاد المصرية فترة من القلاقل والاضطرابات و الفتن الداخلية لم تراها منذ عهد أحمد بن طولون.

ثم تولى الحكم الطولوني وسط هذه لنقلات أبو موسى هارون، وقيل إنه الذي قتل أخاه الحاكم السابق؛ وكان صبيا فجعلوا عليه وصيا هو ابو جعفر بن أبي؛ فسرعان ما تخلص أبو موسى من حاشية أخيه السابق؛ ولكن لم يكن في وسعه إصلاح ما قد فسد من الأمور؛ فثار جنده الجند أيضا؛ ووقع أبو موسى هارون في نفس خطأ أخيه أبي العساكر، فقام بقتل عمه(ربيعة بن أحمد بن طولون)، لأنه أنكر

عليه ولايته لمصر لصغر سنه وعمت الاضطرابات بين طوائف الجند؛ وزاد الطينة بلة أن الخليفة العباسي المعتضد زوج أخت أبو موسى قد توفي سنة ٢٨٩ هـ ، وتولى الخلافة المكتفي بن المعتضد ؛وهاجم القرامطة أملاك مصر في بلاد الشام ، وانفق أبو موسى كثيرا من أمواله، ونقد كثيرا من قواته في سبيل رد هجماتهم عن بلاد الشام.

أضف إلى ذلك وقوع الوحشة بين الخليفة العباسي المكتفي وأبي موسى هارون، لأن الخليفة رغب في استعادة سلطان الخلافة على مصر ولذلك أسرع بئدب محمد بن سليمان الكاتب- كان كاتباً في البلاط الطولوني - في تكوين جيش والقضاء على الطولونيين في مصر؛ وبالفعل بدأ الجيش العباسي في الإستيلاء على بلدان الشام؛ وفي نفس الوقت اندلعت الفتن والدسائس داخل مصر؛ وقام عدي وشيبان إبنا أحمد بن طولون بقتل أبي موسى هارون وهو ثمل؛ وذلك في ١١ صفر سنة ٢٩٢ هـ / ٢٣ ديسمبر سنة ٩٠٤م؛ بعد أن حكم مصر ثمانية سنوات وثمانية أشهر وبضعة أيام، قاست البلاد منها كل أنواع الضعف والانحلال؛ وانفرد شيبان بن أحمد بن طولون بحكم مصر؛ وانسحب جند مصر وهربوا من الخدمة فارين إلى العراق وانضموا للجيش العباسي، وضعف جيش مصر بسبب ذلك، وفقد المصريون ثقتهم في حكومة شيبان وأصبحت مصر في وضع لا تحسد عليه.

ومهما يكن من أمر فقد وصل الجيش العباسي بقيادة محمد بن سليمان إلى مصر وعسكر أمام مدينة الفسطاط، ونهض شيبان لمقاتلته بدون جدوى وآثر السلامة على الحرب؛ وترك الجنود المصريين يلقون حتفهم على أيدي الجند العباسي؛ الذين دخلوا الفسطاط ونهبوها واعتدوا على الحرمات؛ واحرق محمد بن سليمان مدينة القطائع التي كانت بالأمس أعظم وأبهي مدينة لأقوى دولة مستقلة؛ وكانت مدة حكم شيبان حوالي تسعة أيام فقط، وانتهت دولة الطولونيين في صفر سنة ٢٩٢ هـ؛ واجتهد القائد العباسي في إزالة آثار الطولونيين والقطائع؛ ورجعت مصر مرة أخرى ولاية تابعة للخلافة العباسية؛ بعد أن حكمها الطولونيون لمدة ثمانية وثلاثين عاما، ومن يسمع بأعمالهم يحسبهم حكموا أضعاف هذه المدة؛ لما حققوه في كشف ملامح شخصية شعب مصر الإسلامية؛ وحزن عليهم المصريون كثيرا وانتهت الدولة الطولونية، ولكن بقيت شخصية مصر كامنة في نفسها؛ في انتظار من يبعثها من مرقدتها مثل شخصية احمد بن طولون.

خامسا الدروس المستفادة من شخصية مصر الطولونية:

صار أحمد بن طولون من أبطال التاريخ المصري العام، فهو صاحب أول دولة مصرية مستقلة ذات بناء ونظم ورسوم وشخصية فريدة، فقد كشف ابن طولون من طاقات مادية وبشرية عظيمة واستغلها على خير ما يرام؛ حتى أنه حصل على موافقة الخلافة الخيانية في الاعتراف به كحاكم مستقل، وكشف

عن ملامح شخصية مصر القوية؛ وحافظ على ذلك ابنه خماروية، فحصل على موافقة الخلافة العباسية في سبيل إدارته لتكون مصر مستقلا وذلك في سبيل دفع مبلغ مائتي ألف دينار، وتعهد بإرسال مبلغ ثلثمائة ألف دينار سنويا، لكني جانب الخلافة العباسية.

وكان حسن حظ الخلافة العباسية أن تصدت مصر للإمبراطورية البيزنطية، وأرغمتها على عدم الهجوم على الأراضي الإسلامية، بل جعلتها تقف موقف الدفاع عن نفسها ضد هجمات الجيش الطولوني؛ وكان أحمد بن طولون يشتري السلام بالاستعداد العسكري؛ وابنه خماروية اشترى السلام بالمال المتوفر داخل خزانة مصر منذ حكم والده أحمد بن طولون وتمتع خماروية بالأبهة والحضارة، وراح ينعم بالترف ورغد العيش؛ حتى أنه بالغ في إنفاق الأموال وإغداق الهبات والهدايا البلاط العباسي وكبار رجال الدولة؛ وفي مختلف أمور الترف والمظاهر الشكلية؛ على العكس من والده احمد بن طولون مؤسس الدولة الطولونية؛ وعلى الرغم من ذلك ظلت مصر على درجة كبيرة من القوة والحضارة في عهده.

وبعد موت خماروية سنة ٢٨٢ هـ ، حكم مصر حكام ضعفاء من أبناء البيت الطولوني، وكان البيت الطولوني افتقر من الرجال، وتهاوى ملك الطولونيين في نحو عشر سنوات بسبب الخلافات الخطيرة بين أبناء هذا البيت؛ من تناحر أفرادها على الحكم، ووصول بعض الأطفال إلى السلطة، وعدم تقدير المسئولية بالانصراف إلى اللهو والفساد، الأمر الذي عجل بزوال هذه الدولة صاحبة إحياء شخصية مصر

القوية ، وعند سقوطها اختبأت هذه الشخصية وظلت ملامحها منتظرة حاكم قوى يزيل عنها الستار فيصل معها إلى درجات التقدم والسيادة، كما فعل ابن طولون .

أضف إلى ذلك صحوه الخلافة العباسية بعد غفوتها وضعفها في مقابل ضعف حكام الطولونيين من بعد خماروية؛ وبالتالي تغاني بعض القادة الخارجيين على الحكومة الطولونية في خدمة العباسيين مثل القائد محمد بن سليمان الكاتب، الذي انظم إليه معظم الجند الفارين من مصر؛ ودخل دمشق دون مقاومة، وأحرق مدينة القطائع التي رثاها المؤرخ ابو المحاسن بقوله: "ملك الديار المصرية- محمد بن سليمان - وأمسك بالطولونيين وخرّب منازلهم وهدم القصر المسمى الميدان الذي كان سكن- أحمد بن طولون وتتبع أساسه، حتى أخرج الديار ومحل الآثار ونقل ما كان بمصر من نخائر إلى العراق " .

الواقع إننا لم نجد تفسيراً لكل ما حدث سوى الانحطاط الخلفي العام لرجال الدولة العباسية في ذلك الوقت؛ فقد كانوا شرائب من العتاة شقيت بهم بغداد ودمشق، كما شقيت بهم الفسطاط والقطائع، حتى الخلفاء العباسيين قاسوا منهم، حتى وقعت الخلافة فريسة في أيدي هؤلاء الطغاة، ولكن عظمة مصر الطولونية وخاصة عهد أحمد بن طولون تأصل في النفوس، حتى أن المصريين. قاموا بثورة مصرية مسلحة ضد والي العباسي لاستعادة الاستقلال، ولكنها لم تنجح وتجلبت الحسرة والآلام في نفوس المصريين على الماضي البسام .

وفي الحقيقة نجح الطولونيون في إحياء شخصية مصر في ظل الإسلام، وعلى الرغم من سقوط الدولة الطولونية إلا أن ملامح الشخصية المصرية .ازدهرت في نفس كلي مصرى ،بل وضحت أمام الأجناس الأخرى من غير المصريين أو العرب، وأولهم القادة العباسيين، الذي تطلعوا في ظل طموحاتهم إلى تكرار محاولة ابن طولون للانفراد بشخصية مصر؛ فبعد قليل انفرد محمد بن طغج بمصر وأسس الدولة الإخشيدية بمصر منذ سنة ٣٢٣هـ ، فأحيا ملامح شخصية مصر واستقل بها؛ واستغل إمكانياتها الهائلة وكون دولة مترامية الأطراف مرة أخرى؛ ثم سقطت على يد الفاطميين سنة ٣٥٨هـ .

وعرفت الفاطميون قيمة شخصية مصر وطاقاتهم وأنها خير قطر يحق لهم السيادة على العالم الإسلامي، فترك الفاطميون عاصمتهم المهدية بأفريقية واستولوا على مصر ، وسرعان ما شيّدوا حاضرة لهم وهي مدينة القاهرة التي ضارعت بغداد عاصمة الخلافة العباسية آنذاك.

الفصل السابع

الدولة الإخشيدية (٣٢٣ - ٣٥٨ هـ / ٩٣٥ - ٩٦٩ م)

بعدما رجعت مصر إلى الخلافة العباسية على أثر سقوط الدولة الطولونية سنة ٢٩٢ هـ ؛ وأصبحت ولاية تابعة لها مرة أخرى ؛ وبعد سقوط الدولة الطولونية عمت الفوضى والانحلال مصر عامة ، واتسمت بكثرة الولاة المتتالين على اثر عزلهم بسبب شيوع الفوضى والاضطرابات بين طوائف الجند من ناحية ، وخوف الخلافة من انفصال الوالي بمصر أسبوة بأحمد بن طولون، وكثر وقوي نفوذ الجند والقادة العسكريين بمصر ، وكانوا هم الذين لهم الأمر والنهي وكلمتهم فوق كلمة الوالي ؛ فكانوا يعزلون الولاة وينهبون الناس ويسلبون الأموال ، ولذلك اثر عدم الاحتكاك الجند وعدم محاسبتهم على أعمالهم.

فكانت الفترة ما بين ظهور الدولة الإخشيدية وما بين سقوط الدولة الطولونية ، والتي تقدر بنحو ثلاثين عاما ؛ فترة ضعف وركود ؛ حتى، أن أسرة الماذرائين الذين اضطروا إلى نفع مرتبات الجنب ، ومنهم أهم رجال الأسرة الماذرئية أبي زينور الحسين بن أحمد الماذرائي الذي كان عاملا للخراج ؛ وكان هنالك أحد القضاة العظماء وهو بن حربوقة ، وكان يحضر الولاة إلي منزلة لزيارته وكان لا يقوم من مجلسه لاستقبالهم رسميا ، نظرا لما يتمتع من احترام من كافة الشعب ؛ وفي نفس الوقت يدل على ضعف سلطة الولاة في هذه الفترة حيث حكم مصر حوالي اثني عشر واليا ، أولهم عيسى بن محمد القوشري ، ومنهم تكين ، الذي حكم مصر أربع مرات ، ونكا الروم، وهلال بن بدر ، واحمد بن كيظغ ، ومحمد بن طغج الإخشيدي .

ومن أهم ما يميز هذه الفترة هي محاولة أحد القادة العسكريين الانفصال بمصر وهو محمد بن علي النخلنجي ، استولي على مصر ثمانية شهور ؛ وهو كان أحد العسكريين في الدولة الطولونية ؛ وكان من حملة القادة الذين كانوا مع محمد بن سليمان الثاني بعد استيلائه على مصر سنة ٢٩٢ هـ ؛ ولكن تركه في حلب ، ورجع إلي مصر أراد استرجاع نفوذ الدولة الطولونية ؛ وانضم إليه عدد كبير من المصريين ، واستولى على الرملة سنة ٢٩٢ هـ ؛ ثم دخل الفسطاط بدون مقاومة في سنة ٢٩٢ هـ ، ولم يقدر على حربة الوالي عيسى القورشى .

احتقل أهل مصر ابن الخنجي ورأوا فيه إنه أن يرجع الدولة الطولونية ؛ ووطن الخنجي نفوذه بمصر وجمع الضرائب من الناس ، واستولى على الدلتا والإسكندرية ؛ ولكن الخليفة العباسي المكتفي اهتم بهذا الثائر و أرسل إليه جيشين متتالين استطاعا القضاء عليه وهزيمتهم بالفسطاط سنة ٢٩٣ هـ ؛ وقبضوا عليه وارسلوه إلى بغداد .

كما حاول الفاطميون في تلك الفترة استغلال أوضاع مصر ، . المفككة والاستيلاء عليها ، فأرسل الفاطميون حملة في سنة ٣٠٦ هـ، وكان على الحملة الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله ومعه قائد حباسة فاستولوا على الإسكندرية ثم وصلوا إلي الفيوم ولكن الجيش المصري تمكن من طردهم ؛ في سنة ٣١١ هـ رجع الفاطميون واستولوا على الإسكندرية مرة أخرى ووصلوا إلى الفيوم وخربوها ثم ساروا نحو الصعيد

واستولوا علي الأشمونيين ، وفي ذات الوقت ارسلوا أسطولا فاطميا مكونا من ثمانين سفينة و دخل الإسكندرية ، ولكن العباسيون أرسلوا أسطولا استطاع هزيمة الفاطميين ؛ واستطاع وإلى مصر تكين أن يهزم الفاطميين في الفيوم وطاردهم إلي حدود المغرب ؛ على انه فى أواخر تلك الفترة امتدت وتوسعت نفوذ الجند الأتراك وعاثوا الفساد في البلاد ، كما أن زلزالا شديدا احدث أثارا مدمرة بمصر و انتشر الرعب والفوضى في البلاد إلى أن وليها محمد بن طغج الإخشيد للمرة الثانية ، واستطاع أن يوظن الأمن بالبلاد.

(أ) أحكام الدولة الإخشيدية :

أسس هذه الدولة بمصر محمد بن طغج الإخشيدي ، وكان لقب الأخشيد قد منحه الخليفة العباسي الراضي بالله محمد بن طغج سنة ٣٢٦ هـ ؛ وأن لفظ اخشيد. معناه بلغة إقليم فرغانة " ملك الملوك " ، ولأن والد محمد بن طغج كان من أمراء فرغانة ؛ وقد حصل محمد بن طغج على لقب والي مصر سنة ٣٢١ هـ من الخليفة القاهر ولكن عزله بعد نحو اثنتين وثلاثين يوما وولى مكانه احمد بن كيغلغ ، ولكن محمد بن طغج استطاع أن يحصل علي ولاية مصر بتقليد من الخليفة الراضي للمرة الثانية في نفس العام سنة ٣٢١ هـ ، وذلك بفضل المصاهرة التي كانت بينه وبين الفضل بن جعفر ، فولي أمورها في سنة ٣٢٣. ٢٣٠ هـ .

كما وجد محمد بن طغج مقاومة شديدة من عامل الخراج محمد بن علي الماذرائي ، و أيضا وجد معارضة من اتباع احمد بن كيغغ الوالي السابق له علي مصر ؛ واستعان بمساعدة صهره الفضل بن جعفر ابن الفرات، الذي كان له جبايه الخراج من الشام ها ومصر؛ واستطاع أن يطرد اتباع ابن كيغغ والماذرائيين ويطردهم إلي إقليم برقة ؛ واستطاع أن يحكم مصر ما بين (٣٢٣-٣٣٤هـ) وضم بلاد الشام إلي مصر واتسع ملكه وسلطانه ، وكان ابن طغج شجاعا عارفا بكل أمور الحرب والسلام ؛ وأمتلك ثمانية آلاف مملوك؛ ووصل عدد جيشه إلي أربعمئة ألف جندي ؛ وكان يحرسه أثناء نومه ألف مملوك ؛ واتصف حكمه بالقوة و أشاع النفود طوال حياته .

وقد مات محمد بن طغج بمدينة دمشق سنة ٣٣٤هـ وخلفه علي مصر ابنه أبو القاسم الوجور ؛ وكان يدبر أمر هذا الابن المري له وهو كافور ؛ وانضم أبو بكر الماذرائي لمساعدة انوجور في تولى أمور الحكم ؛ وكان كافور قد دبر أمر الشام ، حتى أنه ولي أنوجور سنة ٣٣٥هـ ، وكانت كل الأمور في مصر مستقرة، ولذلك أطلق يد أبي بكر الماذرائي في كل أمورالدولة ؛ كما حصل من الخلافة العباسية علي موافقة بتوليئه أخيه علي حكم مصر بعد وفاته.

وكانت السلطة الفعلية في مصادر في يد كافور ، حيث أصبح الحاكم الحقيقي لمصر ، وعندما مات أبو القاسم انوجور سنة ٣٤٩هـ ؛ وافق كبار الجند ورجال القصر علي تولية علي بن محمد بن طغج

واليا على مصر ، وأقره الخليفة المطيع العباسي على ذلك ، وتولى مصر والشام والحجاز ، وكان وصيا عليه كافور أيضا لأنه مربيه ومعلمه مثل اخيه تماما ؛ حدثت بعض المشاكل والقلقل بين على وكافور الإخشيد وانتهت بالمصالحة بينهما ؛ ومرض على بن الإخشيد ومات سنة ٣٥٥ هـ ؛ ودفن في بيت المقدس بجوار والده وأخيه.

وتولى امور مصر بعد ذلك امارة مصر بعد ذلك باتفاق الجند واعيان مصر كلها، و أعطى الخليفة العباسي المطيع لكافور لقب حاكم مصر والشام والحجاز ولقبه بالأستاذ ، وحكم مصر مدة سنتين واربعة شهور فقط بمفرده ، ولكنه أدار أمرها عشرين سنة سابقة لحكمة ؛ وكان عبدا ا سودا بطينا قبيح الشكل والقدمين ثقل البدن ومثقوب بالشفة العليا ومات سنة ٣٥٧ هـ ؛ ويقال أنه دفن بمصر في قول آخر انه دفن بيت المقدس.

وعندما مات كافور، اختار الجند طفلا صغيرا ليكون واليا على مصر يسمى أبو الفوارس احمد وهو بن عم معد بن طغج الإخشيد ، وكان سنه إحدى عشر سنة ، وكان وصيا عليه بن عم أبيه الحسن عبيد الله بن طغج والى الشام ، وتقلد أمور المالية المصرية لجعفر بن الفضل بن الفرات ، وقاد الجيش (سمول)، وكره الجند والشعب قائد الجيش والوصي لإحجامهما وجهلها ، ودارت الفتن في مصر ، وضعف الحكم في مصر ، وكانت الخلافة العباسية تحارب البيزنطيين من الحدود بين الدولتين ، وذلك استغل

الخليفة الفاطمي المعز لدين الله الفاطمي ، وأرسل قائده جوهر الصقلي على رأس جيش ، استطاع أن

يدخل الفسطاط سنة ٣٥٨ هـ ، وعلى قيام الدولة الفاطمية وزوال الدولة الإخشبية.

وتواريخ حكم الدولة الإخشبية هي :-

١- محمد بن طنج الإخشيد ٣٢٣ هـ / ٩٣٤ م

٢- أبو القاسم انو جور ٣٣٤ هـ / ٩٦٠ م

٣- أبو الحسن علي ٣٤٩ هـ

٤- كافور ٣٥٥ هـ

٥- احمد بن علي ابو الفوارس ٣٥٨ هـ

(ب) الحياة السياسية والإدارية :

اتسعت أملاك ونفوذ الدولة الإخشبية حيث شملت، بلاد الشام ومنطقة الثغور .حتى شمل نفوذ

الإخشيديين بلاد اليمن والحجاز؛ وبدأ ذلك الاتساع عندما أعطى الخليفة العباسي الراضي محمد بن طنج

الإخشيد حكم بلاد الشام ، وعزل أحمد بن كيغلق عن مصر ؛ وبعد موت بن دائق سنة ٣٣٠ هـ ضم محمد

بن طنج بلاد الشام إلى مصر ، ودخل دمشق وأصلح أمورها وثبت نفوذه فيها ووافقت الخلافة العباسية

على ذلك.

وحافظ إولاد محمد بن طغج على هذا النفوذ حتى عهد كافور انه جمع مصر والحرميين معا ، على الرغم من أن بعض المؤرخين ذكر أن نفوذ مصر على الحجاز واليمن كان أمرا رمزيا وليس فعليا ؛ ولكن بعض المؤرخين قد ذكر أن نفوذ مصر في عصر الإخشيديين شملت اليمن والحجاز في عهد محمد بن طغج الإخشيد ؛ إلي الحسن على وافق الخليفة على تقليده مصر والشام والثغور والحرميين و اليمن.

وتمتع بن طغج بعلاقات طيبة مع الخلافة العباسية مثل الخليفة العباسي الراضي (٣٢٢ - ٣٢٩هـ) الذي قلده حكم مصر والشام ؛ ولقب بلقب الإخشيد ؛ لا وسارت العلاقات الطيبة بين الإخشيد و الخليفة المتقى (٣٢٩ - ٣٣٣ هـ) حتى إنه في سنة ٣٣٢هـ عندما ضاقت أحوال الخلافة والخليفة بسبب العداة مع الحمدانيين وبعض المناوئين للخليفة المتقى ؛ نقد عرض محمد بن طغج على الخليفة المتقى أن ينتقل بسعة إلي مصر ، فلم يوافق الخليفة المتقى وشكره على ذلك ؛ وفي عهد الخليفة المستكفي (٣٣٣ - ٣٣٤ هـ) طلب محمد بن طغج أن يوليه إمارة بغداد ولكن محمد طغج رفض ذلك ، ويبدو أنه خاف من الأمراء الأتراك وغدرهم ؛ وكانت العلاقات بينه أيضا بين الإخشيد و الخليفة العباسي المطيع : (٣٣٤ - ٣٦٢هـ) .

وظهر اسم محمد بن طغج الإخشيد علي السكة الذهبية اي على الدينير التي سكت سنتي ٣٢٩هـ ، ٣٣٣هـ بجانب أسم الخليفة العباسي ؛ وكان الوزير العباسي ابن مقله على علاقة طيبة مع الإخشيد ومع نائبه في بغداد (أبو الحسين علي بن أحمد العجمي)؛ فلما احتاج ابن مقله لبعض الأموال طلبها من الإخشيد فأرسل له في بغداد عن طريق ابن العجمي، وقيمتها ثلاثين الف دينار، ونجد الوزير ابن مقله بعد عزله من الوزارة في بغداد ، كان يتمنى لو سار إلى مصر وأقام عند محمد بن طغج الإخشيد ، وكانت هناك علاقات طيبة بين ابن القاسم اتوجور وأمراء البلاط العباسي وكان يرسل له الهبات و الهدايا من مصر إلى بغداد.

ومن اهم الصعوبات التي صادفت الدونة الاخشيدية بعض الثورات التي قامت ببلاد الشام وكان منها ثورة المهلهل العقيلي في عن أبي القاسم انو جوز وتم قتله في طبرية سنة ٣٣٤هـ ، وكذلك ثورة شبيب العقيلي ضد كافور سنة ٣٤٨هـ ، ولكن كافور قتله في دمشق وثورة محمد بن احمد السلمي بالشام سنة ٣٥٣هـ والذي تم القبض عليه وسير إلى القسطنطينية واعتقل بها ثم عفى عنه كافور .

وحدث نزاع بين ابن دائق و محمد بن طغج الاخشيد حيث أن ابن دائق احد امراء الدولة العباسية خلال عهد الخليف العباسي الراضي ؛ وكان يمتلك حران والها وتتسرين في شمال الشام ، ولذلك سار نحو الشعب واقتطعها من الأخشيد سنة ٣٣٨هـ ، واعد الجيش بن طغج لمحاربة بن دائق وحدث صلح

بينهما في نفس العام عند مدينة الفرما؛ ولم يحترم الصلح ابن دائق وأعد جيش وسار يريد الهجوم على مصر؛ وحدثت معركة في الأردن انتصر فيها الإخشيدى على ابن دائق وترك له شمال بلاد الشام الواقعة شمال الرملة، واستردها إلي مصر سنة ٣٣١هـ، وأصلح الأمور ببلاد دمشق ودخل دمشق وافر الاحوال فيها لنفسه.

وهناك غارة الحمدانيين على الشام على الرغم من زواج سيف الدولة الحمداني من بنت اخي الأخشيد؛ وقد ساءت العلاقات بين الحمدانيين والأخشيديين، وحدثت معركة سنة ٣٣٢هـ بالقرب من نهر العاص إنتصر ميها سيف الدولة؛ ولكن محمد بن طغج خرج بنفسه على راس جيش من مصر وتقابلا الجيشان في قنسر سنة ٣٣٣هـ، وانتصر محمد بن طغج على سيف الدولة واستعاد منه الشام، وعقد صلحا مع الحمدانيين وتعهد بإرسال مبلغا من المال لهم؛ وهذا يدل على فطنة محمد بن طغج لأن الحمدانيين يقاتلون البيزنطيين باستمرار وهم الحصن المنيع بين الأخشيديين والدولة البيزنطية؛ وفي سنة ٣٣٥هـ أغار سيف الدولة على الشام ولكن خرج له كافر ومعه ابو القاسم انوجور وقاتلاه وهزماه ولكن عقد صلح وتركوا له بلاده ولم يدفع له كافر أية أموالا.

كما تعرضت مصر لغارة من ملك النوبة على جنوب مصر سنة ٣٣٩هـ وكان هذا الهجوم على منطقة الواحات وقتل وضرب كثيرا منها؛ وفي سنة ٤٤٤هـ قام ملاك النوبة بالهجوم على مدينة أسوان،

ولكن القائد المصري محمد بن عبد الله الخازن ذهب اليه بجيش وهزمه وتبعه حتى ايريم ، ورجع معه عددا من الأسري من الحرب وعاد النوبيين إلى مسالمة المسلمين في مصر ، بعدما دخل منهم عدد كبير في الإسلام ، وأخذوا ينفذون اتفاقية البقط التي أقرها معهم عبد الله بن سعد زمن الخليفة عثمان بن عفان.

أضف إلى ذلك إستطاع الإخشيدون رد الغزوات الفاطمية القادمة من الغرب ؛ لأن الفاطميين تطلعوا لضم مصر إلي ملكهم واتخاذها مركزا لهم ودعوتهم الشيعية ، لقوتها ومركزها الجغرافي وكثرة مواردها الاقتصادية ، وطاقتها البشرية ، وفي سنة ٣٢٤ هـ خلال عهد محمد بن طغج الأخشيد ، أرسل الخليفة الفاطمي القائم بأمر الله (٣٢٢ - ٣٢٤هـ) جيشا نحو الاسكندرية ، فأرسل له ابن طغج جيشا وهزمهم في منطقة البحيرة ، واضطرتهم للفرار نحو برقة غربا ، وحدثت مراسلات بين الخليفة الفاطمي ومحمد بن طغج تبادلا فيها الود ، وبذلك لجأ ابن طغج إلي كسب ود الفاطميين ولم يخسر العباسيين في ذات الوقت.

ونهج كافور الأخشيد نفس سياسة محمد بن طغج الاخشدي مع الدولة الفاطمية وكسب ودها دون ان يخسر الدولة العباسية ، وذلك مدة ولايته ووصايته على ابني محمد بن طغج الاخشدي ، وكان القادة الفاطميون يطلقون على كافور اسم الحجر الاسود ، وكانوا يقولون اذ زال الحجر الأسود ملك المعز لدين الله الأرض كلها ؛ وعندما أرسل المعز جيشا سيطر على الواحات المصرية أرسل له كافور جيشا وطرده من مصر ، ويقال أن دعاة الفاطميين نزلوا مصر ودعوا كافور للدخول في طاعة الخليفة المعز ، ولكنه

قابلهم بالحسني ولم يجبههم الى طلبهم ولكنهم تمكنوا من جذب عددا من وجوه مصر الي الدعوة الشيعية ؛ حتى أن بعض كبار القوم كانوا يأخذون البيعة للمعز في دورهم مثل ابو جعفر أحمد بن نصر .

ونجد انه في اواخر العهد الأخشيدى انتشرت الفتن والقلاقل في مصر وخاصة بين اهل السنة والشيعية ، وكان السنيون يعتدون على الشيعة باستمرار كما حدث في سنة ٣٥٠هـ عندما اعتدى الجند السودان والترك ؛ وحدث ايضا مثل ذلك سنة ٣٥٢هـ عندما اشتبك العامة مع الجند على اثر مقتل أحد كبار الشيعة ؛ وكانت تنذر هذه الفترة بقرب هجوم الفلاطمين الشامل على مصر و قرب استيلائهم عليها وحدث ذلك بالفعل في سنة ٣٥٨هـ كما ذكرنا .

أما من ناحية الأمراء والحكام الإخشيديين فكانوا متشبهين بالخلفاء والملوك في تصرفاتهم ومعيشتهم ومعيشتهم وملابسهموبلاطهم ومواكبهم ، وكانوا مطقي السلطة في جميع شئون مصر واحوالها؛ فكان الأخشيد له حاشيته الخاصة وجنده وكان له حجاب يقفون على بابه ؛ وتتمتع خدمه وغلمانه وجواريه بمكانة عظيمة في بلاطه، فكانوا يتدخلون أحيانا لفض النزاعات بين القضاة وكبار رجال الدولة ، وأيضا بلغ الشعراء مكانة عظيمة عند الأخشيد ؛ وخاصة عهد محمد بن طغج الذي قرب الشعراء وكان يحادثهم فيستمع إلي اشعارهم .

وكان الإخشيد يخرج في موكبة بين صفوف الشعب المصري لصلاة الجمعة ؛ وكان يتشبه
باحمد بن طولون في اقامة الحفلات والمناسبات وأقام حلبة الخيل سنة ٣٢٤ هـ ؛ وكان يمتلك من الواشي
والخيول ماليس له مثل عند اى حاكم اسلامى ؛ وقلد ذلك كافور فكان يجمع الادباء والمؤرخين الذين ذكروا
ا كتب السير والأخبار التي سبقت عهده ؛ وأخذ الغلمان والجواري والحجاب ، وكان في بلاطه أربعة آلاف
من الغلمان والجواري والمغنيات .

وقرب كافور الشعب والأمراء اليه ،فكان له موظف خاص يسمى أبي بكر المحلي يقوم على امور
المصاريف الخاصة بالخدم والقصر ، وكان يقدم سماط يشبه سماط احمد بن طولون ، فكان سماط كافور
في اليوم الواحد يحتوي علي مانتي خروف ، ومائة خروف آخر من نوع الرميس ، وخمسين أوزة وخمسائة
دجاجة والاف طير من الحمام وملة صحن من الحلوة ، غير الشراب المحلى بالسكر والليمون ، وحمل اليه
الثلج من الشام ، ليستخدم في عملية تبريد الماء والمشروبات الخاصة بالقصر ، وزج بلاطه بالخدم والأمراء
والشعراء من كل بلدان مصر والبلدان الإسلامية.

وكانت مدينة العسكر هي دار الأمانة التي سكتها الحكام الإخشيدون ؛ وكانت سلطة الوزراء في
الإخشيدي سلطة تنفيذية ، ومن أهم وزراء الإخشيديين الوزير أبو بكر محمد بن على الماذرائي ، والذي
ظل وزيرا للإخشيديين حتى مات سنة ٣٤٤ هـ ؛ ومن الوزراء أيضا ابو الفضل جعفر بن الفرات الذي وزر

لكافور الإخشيد؛ وتمتع هؤلاء الوزراء بثروة كبيرة ؛ وأعتق الوزير أبو بكر المازرائي مائة ألف عبده في حياته ؛ وحج إحدى وعشرين حجة ، وكان ينفق في كل حجة مائة ألف دينار؛ وأحيانا كان يخنق عليه الإخشيد لكبريائه وعظمة ثروته فاعتقله سنة ٣٣١هـ ؛ وهذا يدل على ما تمتعت به مصر من ثروة وتقدم ورخاء .

ومن أهم موظفي الحكومة الإخشيدية عمال الخراج ، وكان يقوم بتعيينهم الحكام الإخشيدون ؛ وكانوا يجمعون الضرائب ، ومنهم أبو الحسن الفراغاني ، وعلى بن محمد الكرخي ، ومحمد بن علي بن مقاتل ؛ وأيضا اشرف على الخراج يعقوب بن كلس في زمن كافور؛ وكان يعاون موظفي الخراج بعض الموظفين من الأقباط منهم ابن عيسى وجريير وإبراهيم بن مروان ؛ واستخدمت طريقة قبالات الأراضي لجميع الخراج، وكانوا يعطون الأرض كل أربع سنوات ، وفي مسجد عمرو بن العاص مثلما كان في عهد الولاة ؛ وكان الخازن ورئيس دار الضرب من أهم الموظفين في العهد الإخشيدى .

وقام رجال الشرطة في العهد الإخشيدى بالاشراف على الامن والنظام وتنفيذ القوانين والاحكام الصادرة من القضاة ؛ ومن اهم رجال الشرطة سعيد بن عثمان ، و الحسين ، ولؤلؤ الغورى ؛ وكان عددهم كبير خلال العهد الإخشيدى، و أيضا استخدم الإخشيدون الكتاب وهم مثل السكرتير الخاص او رئيس الديوان ؛ وكان يقوم الكاتب بأعمال الشؤون المالية والمهام العسكرية ؛ وظهرت منهم شخصيات عظيمة

منهم أبو جعفر بن المتفق وعلى بن صالح الروياري ؛ ويتألف ديوان الانشاء من مجموعة من الكتاب
لتحرير الرسائل المرسلة إلي الأمراء والملوك.

ولعب القضاة دورا هاما في العصر الإخشيدي، فكانوا يحكمون في المنازعات ويشرفون على
الاجياس ، ويخرجون لرؤية هلال شهر رمضان المعظم، وكان يعينهم الخليفة العباسي، و أحيانا الأمراء
الإخشيديون ، وكانوا على مذاهب متعددة ومن بلدان مختلفة ، وكان يضاف اليهم قضاء بعض الأقاليم
الأخرى مثل الشام و حمص وأفلسطين ؛ فكانوا يعينون من نواب على هذه البلدان التابعة لقضائهم ، وكانوا
يستعينون بكبار الفقهاء لمساعدتهم في القضاء مثل أبو بكر الحداد الذي وثق في حكمه القضاء .

وتميز لبس القضاة بالسواد شعار الدولة العباسية؛ وكان يقرأ القاضي عهد القضاء في الجامع ؛
ويقضون بين الناس أيضا في جامع عمرو بن العاص ، وفي بيوتهم ؛ وكان لهم حجابا ينظمون دخول
أصحاب القضايا أمام القضاة ؛ وكان الكتاب يكتبون الأحكام ويحفظونها وكانوا من كبار العلماء أيضا ؛
وكان منهم طائفة من الشهود العدول ؛ ومن أهم القضاة في العصر الإخشيدي محمد بن بدر الصيرفي
والحسين بن ابي زرعة الدمشقي ؛ وعبد الله بن أحمد ،زعيد الله بن أحمد بن شعيب ، ومحمد بن أحمد
الحداد ؛ ومنهم من مال الي الرشوة ، وكان الأمراء الإخشيديون يولون القضاة ويتدخلون في شؤونهم

أحيانا ، وكان معظم العلماء يسارعون إلى منصب القضاء في العصر الإخشيدي ، وذلك لكبر مرتبة القاضى خلال العصر الإخشيدي .

اضف إلي ذلك، إنه انفراد قاضى مستقل للنظر فني المظالم ، وبعد قليل ليصبح الأمراء الإخشيدون ينظرون بأنفسهم في المظالم ، وكان كافور يجلسن يوم السبت للنظر في المظالم، ويحضر معه الفقهاء والقضاء والشهود والعلماء و اما المحتسب فظهر في العصر الإخشيدي فكان يشرف على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتحسن السلوك وتنظيم الأسواق واحوال الباعة والعمال ، ومعاقبة الغشاشين وكان الوزير الذي يعين المحتسب ، واهم المحتسبين محمد بن سلام ، ومن عدل في سيرته ومنهم من ضل عن طريقه .

اما عن النظام الاداري زمن الإخشيد فهو لم يتغير عن سابقه ، فكانت مصر مقسمة إلي كور و قري ، وكانت عدد الكور ما في ذلك الوقت ثمانين كورة؛ ؛ ونحو ألفين وثلاثمائة وخمس وتسعين قرية منها بالصعيد تسعمائة وست وخمسون قرية ؛ وكان يحكم الكورة حاكم يسمى باسم صاحب الكورة ، وكان حاكم القرية يسمى العميد ؛ وكان معظم أصحاب الكور والمناصب الإدارية من الوافدين على مصر أو من الجند الإتراك .

و ومن ناحية الجيش المصري في العصر الإخشيدي فقد وجه الإخشيدون كل أهتمامهم بالجيش المصري لمجابهة الاخطار التي تهدد دولتهم الواسعة بالشام ؛ فقد بلغ جيش الاخشيد حوالي اربعمائة ألف جندي في مصر والشام ، واحتوي على عدة أجناس مختلفة مثل الترك والسودان والمغاربة و الماليك ، وكان محمد بن طغج يستعرض هذا الجيش في احتفال مهيب يشبه العرض العسكري في أيامنا هذا ، وذلك في ايام الأعياد والمناسبات الحربية .

واقسمت طوائف الجند في عهد كافور الى فرقتين الإخشيدين والكافورية، وكثيرا ما كان يدب النزاع والفتن والقتال بين الفرقي ، حتى أنه بعد وفاة كافور الإخشيد إنتشرت الفوضى في صفوف الجيش المصري واندلعت الفتن والدسائس، بين قادة الجيش ، فضعف الجيش في هذه الفترة الذي دار بين طوائف الجند في مصر ؛ وغلت الأسعار ونهبت الأسواق ، والتحق كثير من الجند بالحسن بن عبد الله الإخشيدي بالرملة ؛ وقال عدد الجيش ونقص وتدهورت أحوال مصر .

وكون الاخشيدون أسطولا قويا أيضا ، وكان قائد الأسطول الاخشيدى صاعد بن كلمم، ونقل محمد بن طغج دار صناعة الإسطول من جزيرة الروضة إلى دار خديجة بنت الفتح بن فاقان زوجة أحمد بن طولون بساحل القسطنطينية ؛ و ايضا اهتم كافور بصناعة السفن وتكوين الإسطول وكان يحتفل

كافور بانزال المراكب والسفن الجديدة إلي النيل في احتفال كبير، ويجتمع الناس علي الشاطئ ليشاهدوا هذا الاحتفال الضخم.

تاريخ الدولة الفاطمية في مصر (٣٥٨هـ-٥٦٧هـ)

منذ أن قامت الدولة الفاطمية في المغرب سنة ٣٥٨هـ وهم يرمون إلى تأسيس دولة مترامية الأطراف هدفها الرئيسي القضاء على الدولتين الإسلاميتين السنيتين العباسية في الشرق والأموية في الأندلس، وقد حرص عبيد الله المهدي منذ أن آل إليه أمر الخلافة على تنفيذ هذه السياسة، فبينما نراه مهتم بالأندلس ويرسل العيون وبعث أعوانه لإطلاعه على أحوالها، تراه لا يغفل أمر مصر، وكان يدرك تمام الإدراك أهمية موقعها الاستراتيجي كمركز للعالم الإسلامي واعتبارها رأس الحربة إلى بلاد الشام والعراق والجزيرة العربية قد يتيح الفاطميين تنفيذ خطتهم بنجاح، كما أن ثراء مصر العريض ووقوعها على بحرين هامين هما بحر الروم (المتوسط) وبحر القلزم (الأحمر)، يحقق أهداف الفاطميين في إقامة أسطول قوي يعينهم على السيطرة على منطقة الشرق الأدنى وإقامة دولة فاطمية ممتدة الأطراف ومن البديهي أن أفريقيا بلاد فقيرة بالقياس إلى مصر، الغنية بثرواتها المختلفة .

فقد كانت مصر تشكل المكان الأمثل لأن تكون مركز للدعوة الشيعية من الوجهتين السياسية والاقتصادية ، وتستطيع أن تمد الدولة الفاطمية بكل ما تحتاج إليه للسيطرة على العالم الإسلامي وإحلال

النفوذ الفاطمي مجل النفوذ العباسي في بغداد والأموي في الأندلس ، وقد كانت السنوات الأولى التي أعقبت قيام الدولة الفاطمية في المغرب على يدي المهدي تتسم بالقلق الداخلي وعدم الاستقرار سيما، بعد أن أمر المهدي باغتيال أبو عبد الله الشيعي الذي يرجع له الفضل الأكبر في إرساء قواعد الدولة الفاطمية وتأسيسها كما مر بنا في الصفحات السابقة .

وعلى أية حال فقد بدا عبيد الله المهدي نشاطه الخارجي تحقيقا لأهداف الدولة الفاطمية في النيل في العباسيين في المشرق والأمويين في الأندلس فلم يتردد في سنة ٣٠١هـ من إمداد عمرو بن حفصون الثائر على الأمير عبد الرحمن بن محمد بالسلاح ، على الرغم من أن ابن حفصون لم يكن مخلصا للدعوة الشيعية وإنما كان يتخذها مطية لأغراضه الخاصة مكابدة للأمويين في قرطبة وفي نفس العام أرسله عبيد الله المهدي جملته الأولى على مصر لإخضاعها تحت النفوذ الفاطمي.

والجدير بالذكر هنا أن نشير إلى أن قيام عبيد الله المهدي بمد العون إلى السائر ابن حفصون في الأندلس وإرسال الحملة الأولى على مصر في نفس الوقت تقريبا يكشف عن ضعف الرأي القائل بأن الفاطميين قد فتحوا مصر عندما • فشلوا في الاستيلاء على الأندلس إذ أن الفاطميين قد فكسروا . . في فتح مصر، وشرعوا في تنفيذ ذلك لم يمض على نشأت دولتهم بالمغرب سنوات قليلة، كما أن التصريحات التي أدلى بها الخلفاء الفاطميين والتي وردت في العديد من المصادر التي بين أيدينا، تكشف أن مصر

كانت بالنسبة لهم حجر الزاوية في سياستهم الخارجية ، فكانوا يعتبرونها المعبر إلى الشام والعراق حيث بغداد مقر الخلافة العباسية السنية . وقد اشار ابن الأثير في تاريخه ما يؤكد أن الاستيلاء على مصر كان من أهم أهداف السياسة الخارجية الفاطميين ، اما هدفهم الأكبر ، فكان الاستيلاء على بغداد عاصمة الخلافة نادر العباسية السنية -- فذكر ابن الأثير في هذا المجال حديثا للمعز : مع رسول الدولة البيزنطية قدم إلى مصر بعد انتقال المعز : إليها ، فقال المعز للرسول: " تذكر أن أتيتي رسولا وأنا بالمهدية، فقلت لك، لتدخلن على وأنا بمصر مالكا لها ؟ قال نعم " وقال المعز " وأنا أقول لك لتدخلن على بغداد وأنا خليفة " . وفيما يأتي نعرض لهذه الحملات الفاطمية على مصر .

الحملة الفاطمية الأولى على مصر سنة ٣٠١هـ

واجهت مصر عدة محاولات لفتحها من جهة الفاطميين منذ خلافة عبيد الله المهدي الذي أنفذ ثلاث حملات الغزو مصر، الأولى سنة ٣٠١هـ بعد أن تمكنت قواته من الاستيلاء على برقه سنة ٣٠٠هـ فاتخذها قاعدة له لمواصلة الزحف على البلاد المصرية ، فتوغلت في الوجه البحري حتى بلغت بلدة مشتل السيرت - احدي قري بلبيس شرقية فلما بلغ الخطر ذروته. أمر والي مصر منادي الجهاد بالنفير في الناس حتى تجمع له الناس وفي الوقت نفسه أرسل إلى الخليفة المقتدر العباسي في بغداد مستنجدا، فلما توالى الحملات من بغداد، بقيادة بمؤنس الخادم اشتبك الطرفان في عدة معارك انتهت بهزيمة

الفاطميين بقيادة حباسية مصال الكتامي. وفراره مع قواته ليلا حيث انسحبوا إلى برقة وهم في حالة سيئة، ولما وصل حباسة بن مصال القائد الفاطمي إلسي المغرب أمر الخليفة عبيد الله المهدي بإعدامه بسبب ما لحق به من هزيمة على يد القوات العباسية.

ولكن على الرغم من فشل الحملة الفاطمية الأولى هذه على مصر إلا أنها حققت نجاحا في اتجاه الدعوة الفاطمية حيث تم لها ضم انصار كثير من المصريين ممن أظهروا عطفهم على الفاطميين وتوجهوا الى دعوتهم وقد تعرضوا هؤلاء إلى السجن والقتل في سنة على يد الوالي تكين العباسي الذي نجح في متابعة كل من أظهر موالاته للفاطميين في مصر .

الحملة الفاطمية الثانية (٣٠٧ هـ)

وقد تم إعدادها الإعداد الجيد فنشدت الخلافة الفاطمية حشودا كبيرة من كتامة وبربر إفريقية وولي القيادة عليها أبو القاسم القاكم بن عبيد الله المهدي ، وتم تدعيم الحملة البرية بقوات بحرية تتألف من مائة مركب عربية عبارة عن ثماني طرادات وعشرين عشاري، بقيادة سليمان الخادم اتجهت إلى الإسكندرية حيث تم احتلالها، فلما وصلت الأنباء إلى الفسطاط و ارتجأت الناس وفر بعضهم إلى القلزم والحجاز، وكان الوالي زكا الرومي أو (الأعور) يعاني في الوقت نفسه من ثورات الجند بسبب تأخيرة في صرف رواتبهم وعطاياهم، وتوغلت القوات الفاطمية في البلاد المصرية حتى تم لها الاستيلاء على . الفيوم وبعض

جهات الصعيد واستقر الفاطميون في هذه :النواحي وقاموا بتحصيل الخراج. مما جعل الخلافة العباسية . ترسل مؤنس الخادم على رأس فرقة من الجيش العباسي النجدة مصر وحمايتها من الضياع فلما وصل مؤنس أغدق ... الأموال على الجند مما أدى إلى رفع معنوياتهم وإعادة الثقة فيهم واحتشد له جمع كبير منهم قام بتقسيمهم إلى عدة فرق لضرب الفاطميين في عدة جهات وقت واحد، فاتجهت فرقة بقيادة حتى الخادم الصفواني إلى الجيزة لحمايتها، وزجف ثمل الغني على رأس قوة إلى الإسكندرية لطرد الفاطميين منها واتجهت فرقة أخرى إلى الفيوم ، ولما أكمل مسؤنس استعداداته وخططه الحربية سار على رأس القوة الرئيسية القتال أبي القاسم الذي ما أن علم بما أقدم عليه العباسيون جمع جنده وغاد بهم إلى إفريقية بعد سنتين وثمانية أشهر من بدع هذه الحملة التي انتهت بتدمير أسطولها البحري وعادت من حيث أتت دون أن تحقق الحلم الفاطمي في الاستيلاء علي مصنه م ي توان والجدير بالذكر أن الحملات الفاطمية على مصر قد توقفت إلى ثلاث عشر عاما بسبب انشغال الخلافة الفاطمية بتوطيد سيادتها في بلاد المغرب والقضاء على فتن وثورات الخارجين عليها .

الحملة الفاطمية الثالثة على مصر

وأرسل عبيد الله المهدي حملته الثالثة تحت قيادة خيشي بن أحمد المغربي فحدثت مناوشات بين الجنود الفاطميين والمصريين وتم عقد هدنة بين الطرفين في صقر إلا أن القتال لم يلبث أن اشتعل بينهما

في الجيزة وبلبيس، وانتهي الأمر بانتصار المصريين بقيادة محمد بن طنج في جمادي سبنة ٣٢٢ هـ /٩٣٠ م وعاد الجند الفاطمي إلى بلاد المغرب، وخلال ذلك كان الخليفة الفاطمي قد توفي ، وأخفي ولي عهده خبر موته إلا بعد استقرار الأمور في بلاد المغرب وتلقب بالقائم، واستكمالا لهذه الحملة الثالثة أرسل القائم جيشة سنة ٣٧٣ هـ /٩٣٠م التقي مع الفاطميين عند بلدة تروجه بالبحيرة لكن الجيش الفاطمي لم يستطيع الصمود في وجه قوات الإخشيد وفروا إلى برقة فتتبعهم القوات المصرية وأسرت منهم عددا كبيرا من بينهم بعض وجوه الفاطميين وقادتهم، وعاد باقي الجيش الفاطمي إلى إفريقية سنة ٣٢٦ هـ /٩٣٠م بعد ما لحق به من هزائم على يد القوات الإخشيدية في مصر .

وهنا نود أن نشير إلى أن الحملات الفاطمية الثلاث السابقة لم تستطيع تحقيق أهدافها في فتح مصر وفرض السيادة الفاطمية عليها وقد يرجع ذلك إلى أن مصر كانت من القوة بحيث استطاعت أن ترد غارات الفاطميين وخاصة بمعاونة القوات العباسية، فقد حرص الخلفاء العباسيون على الحفاظ على مصر مفتاح الغرب الإسلامي وتأمين الشمال الإفريقي، هذا بالإضافة إلى أن الثورات التي قام بها الخوارج في بلاد المغرب حالت دون حشد القوات اللازمة لتنفيذ ذلك المخطط الكبير، ولانشغال الخلافة الفاطمية ولفترة طويلة بمواجهة الثائرين بقيادة أبي يزيد مخلد بن كيداد الذي قام . بفتنة أربكت الدولة الفاطمية

الناشئة وافقدتها عددا كبيرة من كبار القواد وخيرة رجالها وأحدثت بها العديد من الاضطرابات والأزمات الداخلية .

ومما ينبغي الإشارة إليه الفاطمية على الرغم من فشل الحملة الثالثة علي مصر وعودتها إلا أنها أظهرته بمدي المصريين خلال وجودها في الإسكندرية مما شجع الخليفة القائم الفاطمي على مكاتبة الإخشيد والي مصر لاستمالاته نحو الدعوة الفاطمية التي وصفها في كتابه " إتباع الحق . ولزوم . الصدق ، ودعوته إلى فتح صفحة جديدة في العلاقات تقوم على المودة. والصدقة حيث قال له: فإنني أرضي منك ... بالمودة والأمر والطاعة "على أن الإخشيد لم يعلن موافقته على طلب القائم وأرسل إليه أنه غير عازم على خلع طاعة العباسيين التي منحتهم مصر طعمه له ولأبنائه من بعده، وقى سبيل كسب ود الخليفة الفاطمي، أنفذ إليه كتابا يعرض عليه زواج ابنته من ولي عهده المنصور، وعلى الرغم من موافقة القائم على هذا العرض إلا أن هذا المشروع فشل ولم تتحقق للإخشيد أمنيته في أن يعتلي مركزا مرموقة في كنف هذه . الدولة الفتية ، ولما توفي الإخشيد سار على نهجه كافور الإخشيدي، في الحرص على توطيد علاقته بكل من الخليفة العباسي والخليفة الفاطمي ، فكان بهدي المعتز صباحي المغرب ... ويظهر ميله إليه ، وكذا يذعن بلطاعة لبني العباس في بغداد، ويداري ويخدع هؤلاء وهؤلاء ..| وذلك من اجل مصلحته الشخصية في الإبقاء على نفوذه .